صور من مظاهر الحضارة المتشابهة بين مدينتى الإسكندرية ورباط الفتح

بحث مقدم من الدكتورة

سحر السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامى

والحضارة الإسلامية المساعدة

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

١٨- لقد كانت سياسة البطالمة هو سيطرة الدولة على اقتصاديات البلاد، فإن هذه السيطرة قد اختلفت درجتها بين الاحتكار الجزئي ومن بين الصناعات التي خضعت لاحتكار الدولة الكامل صناعتا الزيت والملح ... حيث كانت الدولة تحدد كل سنة مساحة الأراضي التي يجب على كل مديرية أن تزرعها بالنباتات المنتجة للزيت .. ولقد ازدهرت صناعات الزجاج والفخار والعطور والفنون الصغيرة.

١٩- عدم اعتماد الصناعة في مصر كما في اليونان على العبيد بشكل أساسي وسبب ذلك هو كثافة السكان في مصر.

٢٠- وجود نظام احتكار حكومي واسع المدى طبقاً لسياسة البطالمة العلمية وبحيث يتفق مع احتياجات الدولة المتباينة ... فكانت الأعمال المصرفية من بين هذه الاحتكارات ... واحتكار صناعة الزيت وتحديد المساحات التي تزرع بالنباتات الزيتية ... ومنح حق بيع الزيت بطريق الالتزام لتجار الجملة وتجار التجزئة مع تحديد السعر الذي يجب أن يبيعوا به هذه المنتجات ... واحتكار المنسوجات والكتان والصوف وعدم السماح بصناعتها للأفراد إلا في حالة المعابد لاحتياجاتها فقط.

٢١- التفريق في المعاملة بين جميع الرعايا في مصر .. فقد فرق البطالمة بين الإغريق المقدونيين والمصريين ... وسيطرة الإغريق على جميع الوظائف العليا في الإدارة والجيش ... الخ. واقتصار المصريين على الحرف وأعمال السخرة للفلاحين المصريين وحدهم ... وبناء عليه كان يحس المصريون بتدني أوضاعهم في مقابل تميز كل الجاليات الأخرى بصورة أو بأخرى.

هوامش البحث

١) لمزيد من التفاصيل أنظر : ايدرس بل، مصر من الإسكندرية حتى الفتح العربي، دار النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص ص ١٢ – ١٤.

٢) محمد عواد حسين، الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٣، ص ١٢.

٣) أنظر : حسين الشيخ، دراسات في تاريخ حضارة مصر اليونانية والرومانية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠، ص ١٩.

٤) انظر : لطفي عبد الوهاب، دراسات في العصر الهلينستي ، ص ص ٤–٨.

٥) انظر : لطفي عبد الوهاب، مرجع سابق، ص ص ٨ –١١.

٦) عبد اللطيف أحمد علي ومحمد عواد حسين ، مرجع سابق، ص ص ٦٦–٦٧.

٧) محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر ، دار الفكر العربي، ١٩٩٤، ص ٢٥.

٨) محمد عواد حسين وآخرون، تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ١٩٦٣، ص ٩.

٩) ايدرس بل، مصر من الإسكندرية حتى الفتح العربي، ترجم عبد اللطيف علي دار النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص ص٨ – ٩٩.

١٠) انظر : محمد عواد حسين وآخرون، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٣، ص ص ٢٢–٢٣.

١١) ايدرس بل، مرجع سابق، ص ص ٢٤–٢٥.

١٢) محمد عواد وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٦.

١٣) مصطفى العبادي، مصر، ص ١٠٩.

١٤) محمد عواد حسين، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٣، ص ص٤٣–٤٤

١٥) أنظر : محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٤٥–٤٧.

١٦) أنظر : ايبرس بل، مرجع سابق، ص ص ١٠٢-١٠٣.

١٧) انظر : مصطفى العبادى، مرجع سابق، ص ص ١١٠-١١١.

١٨) انظر مصطفى العبادى ، مرجع سابق، ص ص ١١١-١١٢.

١٩) انظر مصطفى العبادى ، مرجع سابق، ص ص ١١٢-١١٣.

٢٠) انظر مصطفى العبادى ، مرجع سابق، ص ص ١١٤-١١٥.

٢١) انظر مصطفى العبادى ، مرجع سابق، ص ١١٦.

٢٢) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٢٥-٣٦.

٢٣) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٧.

٢٤) انظر مصطفى العبادى ، مرجع سابق، ص ١٤٤.

٢٥) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص٣٨.

٢٦) مصطفى العبادى ، مرجع سابق، ص ١٤٤-١٤٥.

٢٧) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص٤٠.

٢٨) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢.

٢٩) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ص ١١٤-١١٥.

٣٠) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص١١٧.

٣١) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ص ١١٩ - ١٢٠.

٣٢) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص١٢٠.

٣٣) أنظر حسين الشيخ ، مرجع سابق، ص ص ٦٢-٦٣.

٣٤) مصطفى العبادى، مرجع سابق، ص ١٢٩.

٣٥) عبد اللطيف على، مرجع سابق، ص ٨٦.

٣٦) أنظر : مصطفى العبادى مرجع سابق ، ص ص ١٢٠-١٣١.

أنظر : عبد اللطيف على، مرجع سابق ، ص ص ٨٨ -٨٩.

٣٧- أنظر : عبد اللطيف على، مرجع سابق، ص ص ٩١-٩٢.

٣٨) أنظر حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٦.

٣٩) مصطفى العبادى ، مرجع سابق، ص ١٣٩.

٤٠) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ١٤٠.

٤١) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ص ٥٧-٥٨.

٤٢) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٩٨.

٤٣) أنظر عبد اللطيف على، مرجع سابق، ص ص ٩٣-٩٤.

أنظر محمد عواد حسين ، مرجع سابق، ص ٦٧.

٤٤) عبد اللطيف أحمد على ، مرجع سابق، ص ٣٨.

٤٥) أنظر : محمد عواد حسين، مرجع سابق، ص ٦٧.

٤٦) أنظر : محمد عواد حسين، الوطنيون والإغريق في مصر البطلمية، مج ٣، ١٥٤

٤٧) إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عهد البطالمة، ص ص ٢٧-٢٨.

٤٨) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ص ٧٢-٧٣.

٤٩) محمد عواد حسين ، مرجع سابق، ص ٧٤.

* الآلهة الأوليمبية نسبة إلى جبل أولمبس الذى يقع بين مقدونيا وتساليا وكان الإغريق يعتقدون أن الآلهة وعلى رأسهم كبيرهم زيوس كانت تسكن فوق قمة هذا الجبل وكان أشهرها بعد زيوس أبولون وأثينا.

٥٠) أنظر عبد اللطيف أحمد على، ص ٨١.

محتويات البحث

تمهيد :

أولا : الإسكندر وحلم تكون إمبراطورية تجمع بين العالم الشرقي والغربي

ثانيا : الاتصال الثقافي بين الحضارة اليونانية والمصرية القديمة.

ثالثا : الإسكندرية كعاصمة وأهم الموانئ في حوض البحر المتوسط.

رابعاً : مظاهر الحياة الاجتماعية وخصائصها خلال حكم البطالمة.

خامساً : الحياة الثقافية وخصائصها خلال حكم البطالمة.

١) التأثير والتأثر في مجال الثقافة.

٢) التأثير والتأثر في الفنون والآداب.

٣) التأثير والتأثر في مجال الحياة الدينية.

سادسا : تأثير الثقافة اليونانية في مظاهر الحياة الاقتصادية بالإسكندرية.

١) نظام الأراضي.

أ) أراضي الملك.

ب) ضياع المعابد.

ج) الإقطاعات العسكرية.

د) إقطاعات الموظفين.

هـ) أراضي الملكية الشخصية.

٢) الزراعة.

٣) الصناعة.

٤) التجارة

٥) العملة

٦) الاحتكار.

سابعاً : مظاهر الحياة السياسية وخصائصها خلال حكم البطالمة .

أ) تأسيس المدن.

ب) التمييز العنصرى.

١) وضع المصريين فى مصر.

٢) وضع الإغريق فى مصر.

خاتمة ونتائج البحث.

صور من مظاهر الحضارة المتشابهة بين مدينتى الإسكندرية ورباط الفتح

يذكر ابن خلكان فى وفيات الاعيان أن الخليفة المنصور الموحدى ابتنى بالقرب من مدينة سلا (٥٩٣هـ) «مدينة عظيمة، سماها رباط الفتح على هيئة الإسكندرية فى اتساع شوارعها وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحصينه وبناها على البحر المحيط الذى هناك وهى على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي .....» (١).

وقد نقل الناصرى السلاوى هذا القول عن ابن خلكان(٢).

ولم يكن ابن خلكان وحده هو الذى ربط فى الشبه بين كل من الإسكندرية ورباط الفتح فإن المؤرخ المغربى المعاصر للموحدين، عبد الواحد المراكشى ربط هو الآخر بين المدينتين عندما ذكر فى المعجب أن مسجد رباط الفتح الذى عرف فيما بعد بجامع حسان «كبير المساحة واسع الفناء جدا لا أعلم فى مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له حائنة فى نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية يصعد فيه بغير درج، تصعد الدواب بالطين والآجر والجص وجميع ما يحتاج إليه إلى أعلاها ولم يتم هذا المسجد(٣) إلى اليوم ....».

وإذا ما قمنا باجراء دراسة حول كل من المدينتين التى ترجع إحداهما إلى العصر القديم والأخرى إلى العصر الوسيط فسوف نلاحظ أن ثمة تشابه كبير يربط بينهما فى حقيقة الأمر فى الموقع والتخطيط والبنيان لاسيما صومعة الجامع(٤). ولعل الأساس الذى قامت عليه مقومات هذا

التشابه هو ما يمكن أن نسميه التماثل فى «عبقرية الزمان والمكان» الذى اتسمت به كل منهما. فالإسكندرية قدر لها منذ أن اختار الإسكندر المقدونى موقعها ليبنى عليه عاصمته وحتى يومنا هذا، أن تكون ملتقى للحضارات المختلفة ومنطلق إشعاع حضارى وثقافى، ومركزاً اقتصاديا عالميا هاما وأيضا قاعدة استراتيجية بحرية غاية فى الأهمية، وكذلك كان حال مدينة الرباط والتى توفر لموقعها مزايا استراتيجية واقتصادية وحضارية عظيمة الأهمية فموقعها الطبيعى بين استدارة نهر واطلالتها على المحيط الأطلسى اكسبها تميزا استراتيجيا. وقد أدرك الرومان قديما أهمية هذا الموقع فأقاموا فى موضع قصبة[٥] الوداية قلعة لهم، قام على أنقاضها رباط مرابطى لجهاد هراطقة برقوطة[٦]، استخدمه تاشفين بن على لقتال المهدى بن تومرت، ثم أعاد بناءه الخليفة عبد المؤمن بن على ليصبح نواة مدينة رباط الفتح التى شرع ولده أبو يعقوب يوسف فى بنائها ثم استكملها من بعده ولده المنصور وقد حدثتنا المصادر العربية عن المكانتين الاقتصادية والعلمية اللتين امتازت بهما مدينة رباط الفتح منذ إنشائها بين مدن المغرب الإسلامية ولعل ذلك يذكرنا بمقولة لبن صاحب الصلاة الشهيرة عن مدينة رباط الفتح «وكان أهل الأثر يقولون فى ذلك التاريخ سيكون فى هذا الموضع مدينة عظيمة لخليفة عظيم»[٧]، وبنبوءة المهدى بن تومرت التى أوردها عبد الواحد المراكشى من أن رباط الفتح هى التى ستبقى فى أيدى أهل المغرب ثم يفتح الله عليهم منها فى تجميع كلمتهم[٨].

وفى رأيى أن المدن كالبشر، فإذا كان لكل إنسان شخصيته الخاصة

بها الميزة له وكذلك إمكانيات وقدرات ذاتية تجعل شخصا ما يتفوق على غيره، فكذلك شأن المدن فهناك من المدن والبلاد ما يحمل من المقومات الطبيعية والبشرية ما يجعلها تبرز بين غيرها فى تفوقها، ومن بين هذه المدن التى حملت بجدارة صفة «عبقرية الزمان والمكان» مدينة بيت المقدس على سبيل المثال، فهى ملتقى الديانات الثلاثة والتى بحكم وقوعها فى فلسطين، تقع فى قلب منطقة الشرق الأدنى القديم، وهناك مدينتى «القاهرة» و«الإسكندرية» بإعتبارهما مدن مصرية، فمصر حباها الله موقع جغرافى فريد فهى تقع فى قلب العالم العربى وفى نفس الوقت فى قلب العالم الإسلامى، وكذلك فى قلب العالم كله تتحكم فى عدد من أهم المجارى المائية العالمية، وكذلك العراق، وعاصمته بغداد، فالعراق له حضارة من أقدم وأعرق الحضارات فى التاريخ، والعراق يمثل قديما الجناح الشرقى فى منطقة الشرق الأدنى القديم، والبوابة الشرقية للعالم الإسلامى فى العصرين الوسيط والحديث، وكذلك كانت بلاد المغرب فهى الجناح الغربى للعالم الإسلامى فإذا كان العراق هو البوابة الشرقية فإن المغرب هو البوابة الغربية لعالم الشرق الأدنى قديما والأمة الإسلامية فى العصرين الوسيط والحديث، وكان لمدينة رباط الفتح وضع هام وخاص فهى بإطلالتها على المحيط الأطلسى، تطل على العالم الغربى كله وتعد بمثابة همزة وصل بين هذا العالم، والعالم الإسلامى، وكانت بحكم موقعها فى وسط المغرب الأقصى بمثابة قاعدة مركزية لربط أنحاء المغرب بعضه ببعض وكذلك لربطه ببلاد الأندلس.

وسنقوم فى السطور التالية بمحاولات أكثر تفصيلا لتوضيح أهم ملامح الالتقاء والتقارب بين كل من الإسكندرية ورباط الفتح فى المجالات المختلفة. ونلاحظ أن أهم ملامح التقارب تتمثل فى الموقع الجغرافي فكل من الإسكندرية ورباط الفتح تطل على ساحل البحر، الأولى على البحر المتوسط والثانية على البحر المحيط. ولعل الموحدين عندما اختاروا موضع مدينة رباط الفتح لبناء هذه المدينة كانت قد وصلت إلى أسماعهم الشهرة الكبيرة التى كانت تنعم بها مدينة الإسكندرية منذ أقدم العصور فبحثوا عن موضع ساحلى يتميز بخصائص جغرافية واستراتيجية مشابهة. فوجدوا أن موضع الرباط يجمع بين كل المقومات، فهى إلى جانب وقوعها كامتداد لقصبة تاشفين بن على القائمة على رباط المرابطين لقتال برغواطة محل القلعة الرومانية القديمة كما سبق أن ذكرنا، مدينة ساحلية، من الممكن أن تلبى حاجتهم إلى الجهاد البحرى وتحقق الغرض من بنائهم لها لتكون قاعدة للجهاد فى الأندلس أو لمحاربة أعدائهم فى بلاد المغرب، وكذلك مركزا اقتصاديا هذا على النحو الذى كانت عليه مدينة الإسكندرية فى مصر. وقد دفع هذا التحليل الكثير من المؤرخين إلى وصف أبى يوسف يعقوب المنصور بأنه كان يفكر فى بناء مدينة جديدة تخليدا لذكرى انتصار الأرك على غرار الحواضر الإسلامية الكبرى[٩].

أما بالنسبة لمدينة الإسكندرية فإنها تختلف بعض الشئ من حيث التخطيط عن مدينة رباط الفتح. فهى تتكون أساسا من قرية تعرف باسم راكوتيس Rhakotis يحدها من الشمال جزيرة تعرف باسم جزيرة

فاروس كانت بمثابة حاجزاً طبيعياً لها يحميها من أنواء البحر وعواصفه، ويحدها من الجنوب بحيرة مريوط[١٠]. في حين أن مدينة رباط الفتح لم تكن محاطة لا في شمالها بجزيرة ولا في جنوبها ببحيرة، وبرغم ذلك الاختلاف الظاهري في التخطيط والوضع الجغرافي بين المدينتين إلا أن عاملا جغرافيا آخر هاما للغاية قرب بين المدينتين وهو وجود مجرى مائي في كل منهما، ففي حالة مدينة الإسكندرية، لاحظنا أن بحيرة مريوط كانت تقع جنوب الإسكندرية، وهي بحيرة عذبة كانت مياه النيل تصل إليها عن طريق قنوات تتفرع من ترعة شيديا، وهذه الترعة كانت تخترق مدينة الإسكندرية وتصب في البحر المتوسط، وكانت تحتشد فيها السفن القادمة من جنوب مصر، وبذلك تمكنت المدينة من التزود بمياه النيل. ويذكر المؤرخون أن هذه الترعة كانت تتفرع إلى فرعين عند حجر النواتية يسير أحدهما بمحاذاة الشاطئ إلى كانوب (أبي قير) بينما يتجه الآخر إلى الإسكندرية[١١] ويعبر جنوب المدينة ثم يصب في الميناء الغربي المعروف بالصندوق وأن كان بريشيا Breccia يعتقد أن هذا الفرع كان يصب في الميناء الشرقية[١٢]. أما رباط الفتح فتقع على امتداد الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق في مواجهة سلا كما سبق أن أشرنا في بداية البحث، وكان هذا النهر يصب في المحيط الأطلسي مما أتاح الفرصة لبعض السفن الإبحار في النهر والدخول اليه بعكس ما أشار إليه كايليه Caillé في كتابه عن الرباط * .

وإذا انتقلنا للحديث عن تشابه المدينتين في التخطيط العمراني، فإننا نلاحظ أن مدينة الإسكندرية أسست وفق تخطيط مسبق لها ولشوارعها

ولاهم مبانيها شأنها فى ذلك شأن سائر المدن يونانية البناء، ومن المعروف أن دينوقراطيس Denokrates مهندس الإسكندر هو الذى وضع أساسها[١٣]، ولم يتم بناؤها فى عهد الإسكندر، وإنما استكملها خليفته بطليموس سوتر. وكانت المدينة تمتد فى عصر البطالمة من الشرق إلى الغرب بحذاء الساحل بحيث تؤلف مركزا عمرانيا على شكل شريط ساحلى يزيد طوله على عرضه، وتتخلله شبكة من الطرق المستقيمة وصفت بالبازلت الاسود أو الاصفر[١٤] تتقاطع فيما بينها، سبعة ممتدة طولا بحذاء الساحل، واثنا عشر تقطعها عرضا من الشمال إلى الجنوب، بحيث كانت تبدو وكأنها رقعة شطرنجية ويرجع الفضل فى هذا «التخطيط الشطرنجى» إلى المهندس دينوقراطيس الذى اتبع نفس نظام التخطيط الإغريقى الذى ابتدعه هيبودا موس الميليطى وطبق فى تخطيط المدن اليونانية منذ القرن الخامس ق.م. مثل هاليكارناسوس وبيرايوس وروودس وكان يخترق المدينة شارعان رئيسيان، لا يقل اتساع الواحد منهما عن ثلاثين مترا الاول يسمى الشارع الكانوبى Canopus لأنه يمتد من الباب الشرقى فى اتجاه ضاحية كانوب (أبى قير الحالية) متتبعا طريق الحرية فى الوقت الحاضر[١٥] ثم يمتد من الباب الغربى حتى شاطئ البحر. أما الطريق الثانى فكان يقطع الطريق الكانوبى فى وسطه ويتفق فى تخطيطه مع خط شارع النبى دانيال الحالى. ويقال أن بطليموس سوتر قام بخدعه ماكره، عندما اتفق سرا مع أحد القادة اليونان لنقل جثمان الإسكندر من بابل حيث توفى إلى سورية، ومنها إلى مصر بدلا من مقدونية حيث كان يجب أن يدفن طبقا لما تم الاتفاق عليه بين قادته وقد قام بطليموس بدفن جثمان قائده الراحل فى منف بصفه

مؤقته ثم نقله بعد ذلك إلى الإسكندرية.[١٦] حيث دفن كما هو معروف بين الباحثين فى ضريح يقع عند نقطة التقاء الطريقين الرئيسيين السابق ذكرهما واللذين كانا يخترقان مدينة الإسكندرية، وعرف هذا الموضع بالسوما أو السيما بمعنى الجسد الحى نسبة إلى جثمان الإسكندر[١٧]. وكان بطليموس سوتر يهدف من وراء دفن قائده الإسكندر فى الإسكندرية، اكتساب مكانة روحية كبيرة للمدينة التى ستصبح عاصمته باعتبار أن الاغريق كانوا ينظرون إلى الإسكندر نظرة وإن لم تصل إلى التأليه الكامل فهى لا تبتعد كثيرا عنه، فأصبحت الإسكندرية منذ ذلك الحين مركز الثقل الأول في العالم المتأغرق[١٨]. وقد وضع بطليموس نظاما دقيقا لتزويد مدينة الإسكندرية بمياه الشرب والسقاية. فمدت فى جوف الأرض قنوات لتوصيل هذه المياه من ترعة شيديا إلى صهاريج وخزانات جوفية ما زال بعضها قائما حتى اليوم، فقد لاحظ الجغرافيون والمؤرخون العرب هذا التنظيم الدقيق، وقام بوصفه كل من المسعودى[١٩] وابن جبير[٢٠] واستمر ازدهار الإسكندرية يتزايد فى العصور التالية حتى إذا دخلها العرب عند افتتاحهم لها سنة ٢١هـ، بهتوا لما شاهدوه فيها من حسن العمارة وروعة التخطيط وجليل العمران حتى أن القائد عمرو بن العاص فكر فى بادئ الأمر فى اتخاذها عاصمة لمصر الإسلامية[٢١].

أما من حيث التشابه بين المدينتين فى التخطيط العمرانى فان تيراس Terrasse يذكر أن رباط الفتح بنيت فى موضع حصين حصانة طبيعية على مرتفع قريب من النهر وفى واجهة البحر، وهذا يذكرنا بموقع الإسكندرية ذى الحصانة الطبيعية حيث تحميها جزيرة فاروس فالموقعان

وان اختلفا فى التفاصيل إلا أنهما اشتركا فى «الحصانة الطبيعية». وإذا كانت الإسكندرية قد حظيت بتخطيط مسبق قبل بنائها شأن المدن اليونانية، فإن الرباط قد حظيت أيضا بهذه الميزة.

وتذكر المصادر العربية أن الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على عهد إلى المهندس البناء عبد الحق بن إبراهيم بن جامع بإتمام بناء قصبة المهدية[٢٢]، وإن العمران بدا يمتد حولها فعمرت سريعا بالسكان وأصبحت بذلك نواة لمدينة جديدة هى رباط الفتح، كما تذكر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان المسئول الأول عن تخطيط مدينة رباط الفتح ورسم شوارعها وفى ذلك يقول عبد الواحد المراكشى «وكان أبو يعقوب رحمه الله هو الذى اختطها ورسم حدودها وابتدأ فى بنيانها فعاقه الموت عن اتمامها ...»[٢٣]. ويشير ابن صاحب الصلاة إلى هذه الحقيقة بقوله «وأمير المؤمنين به أمير المؤمنين هذا هو الذى مصرها ومهدها وابتدأ بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب ....»[٢٤].

وتعتبر مدينة رباط الفتح على هذا النحو من الأمثلة النادرة للمدن الإسلامية المحدثة التى تميزت بتخطيط مسبق لأسوارها وشوارعها قبل الشروع فى بنائها. فالمدن الإسلامية تتفق جميعها فيما بينها سواء فى المشرق أو المغرب وسواء أكانت مدنا مفتوحة أو مدنا أسست فى عهد الإسلام فى مظهرها العمرانى العام ونعنى فى طريق تكوين شوارعها وتعرضها وتشعب طرقاتها وتوزيع مراكزها العمرانية كما تتفق فى أبنيتها عامة باستثناء تفاصيلها الزخرفية بتأثير المناخ أو طبيعة المكان، وتتمثل هذه

الظاهرة في مصر والشام والعراق وبلاد المغرب والأندلس، ويمكن تفسيرها بأن المسجد الجامع الذى لا يختلف كثيرا فى نظام بنائه فى سائر أنحاء العالم الإسلامى كان يعتبر أساس التنظيم العمرانى للمدينة الإسلامية، والذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية وكان تشييد المساجد الجامعة فى الإسلام أساس العمران فى المدن إسلامية الإنشاء أو المدن المفتوحة التى يراد طبعها بطابع الإسلام، فكان المسلمون منذ فجر الإسلام وفى زمن الفتوحات الكبرى يشيدون المسجد الجامع فى المدن المفتوحة رغبة فى إسباغها الطابع الإسلامى، لأن المسجد الجامع فى الواقع هو الذى يتحكم فى كل مراكزها العمرانية، كما كانوا يبدأون ببناء المسجد عند تأسيسهم للمدن الجديدة مثلما حدث عند بناء سعد بن أبى وقاص لمدينة الكوفة سنة ١٧هـ، وبناء عمرو بن العاص للفسطاط سنة ٢١هـ، وبناء عقبة بن نافع لجامع القيروان فى القيروان وبناء حسان بن النعمان الغسانى لجامع الزيتونه بتونس، وبعد بناء المسجد الجامع الذى سرعان ما تلتف حوله الدور ومختلف الأبنية والأسواق، وتتوزع الطرق بين هذه المرافق جميعا وتشكل شبكة معقدة من الدروب والحارات والأزقة المتعرجة التي تكسب المدينة طابعا مميزاً لأنها لم يخطط لها تخطيطا مسبقا.

أما فى حالة رباط الفتح، فإن تخطيطها سبق بناء مسجدها الجامع[٢٥]، فقد شرع الخليفة ابا يعقوب يوسف فى تخطيط المدينة وبناء أسوارها وأبوابها قبل بناء مسجدها الجامع الذى لم يبدأ العمل فيه إلا فى عهد الخليفة المنصور كما سبق أن ذكرنا، وبذلك فإن شكل شوارعها جاء

مختلفا عن الشكل التقليدى المعروف للشوارع الضيقة والدروب المتعرجة فى المدن الإسلامية، ويدت مدينة رباط الفتح على حد وصف تيراس Terrasse «مدينة توزعت فيها شبكة منتظمة من الطرق الفسيحة على غرار تخطيط مدينة الإسكندرية ....»[٢٦].

وكما حرص البطالمة على تزويد مدينة الإسكندرية بالمياه الصالحة للسقاية وإنشاء الصهاريج والخزانات اللازمة لذلك اهتم خلفاء الموحدين بتزويد رباط الفتح بالسقايات فقد ذكر البيذق أن الخليفة عبد المؤمن بن على قد مد السقاية من عين غبولة إلى موضع قصبة تاشفين حين أسس قصبة المهدية[٢٧]. وكذلك أشار إلى ذلك كل من ابن صاحب الصلاة[٢٨] وابن أبى زرع[٢٩]. أما الخليفة أبو يعقوب يوسف فقد لاحظ عند زيارة لرباط الفتح سنة ٥٦٦هـ أن الماء قد أسن وفدجرية فقام بتجديد مشروع والده مضيفا إليه صهريجا يتجمع فيه الماء[٣٠]. وقد أشار كل من صاحب الاستبصار والحميرى إلى وجود عدة سقايات وصهاريج للمياه بموضع رباط الفتح[٣١].

وإذا كان بطليموس بنقله لجتمان الإسكندر إلى الإسكندرية يهدف إلى إسباغ أهمية روحية للإسكندرية عن غيرها من مدن العالم المتأغرق فإن رباط الفتح حظيت هى الأخرى بمكانة روحية ومعنوية لا تقل بأى حال من الأحوال عن تلك التى حظيت بها مدينة الإسكندرية وأعنى بذلك ارتباطها اسما وفعلا بمفهوم «الجهاد المقدس» وهى نقطة سنعود للحديث عنها بمزيد من التفصيل فى الصفحات التالية، ولكن ما نود الآن الإشارة إليه أن هذه المكانة الروحية ترجع أيضا فى اعتقادى الشخصى إلى عامل ثان يتمثل فى

وفاة أكثر من خليفة موحدى برباط الفتح وحرص عدد آخر منهم على قضاء الأعياد الدينية على وجه الخصوص بها، وقد أوردت على الصفحات السابقة بعض الأمثلة لذلك فى سياق عرضى التاريخى ولعل أهم هؤلاء الخلفاء الموحدين الذين توفوا برباط الفتح، الخليفة عبد المؤمن بن على الذى توفى وفقا لما ذكره كل من صاحب الحلل الموشية[٣٢] وابن أبى زرع[٣٣] والغبريني[٣٤] وبوجندار[٣٥] فيها سنة ٥٥٨هـ بل أن ابن عذارى يؤكد أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بايع لولده فيها أيضا[٣٦].

وتذكر المصادر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن دفن أولا برباط الفتح بعد عودته شهيداً من غزاته بشنترين سنة ٥٨٠هـ، وأن ولده أبا يوسف يعقوب تأسى والده فتلقى بيعته بها دون غيرها من مدن المغرب[٣٧]. ويؤكد ابن الخطيب أن الخليفة محمد الناس الموحدى توفى فى رباط الفتح سنة ٦١٠هـ[٣٨]. ومن هذا المنطلق بدأت مدينة رباط الفتح تكتسب مكانة روحية بحيث أصبحت مرتبطة إلى حد كبير بالقيم الروحية لدى خلفاء الموحدين لذلك كانوا يفضلون قضاء أيام شهر رمضان والأعياد بها، واستمر هذا التقليد متبعا فى عصر بنى مرين.

واستكمالا للحديث عن التخطيط والنواحى المعمارية والعمرانية، فلابد أن نشير إلى منار الإسكندرية ومدى الارتباط بينه وبين صومعة جامع حسان، وأوجه التشابه بينهما والتى نصت عليها بعض المصادر العربية كما سبق أن أشرنا.

يتفق المؤرخون وعلماء الآثار على أن منار الإسكندرية، كان يتألف من طابق رئيسي يتمثل في برج ضخم مربع القاعدة يبلغ ارتفاعه ستين مترا، وتميل جدرانه ميلا خفيفا كلما ارتفعت نحو الداخل، ويعلوه طابق ثان مثمن الشكل أقل حجما يبلغ ارتفاعه ثلاثين مترا. وتتخذ جدرانه نفس الميل إلى الداخل، ويلي ذلك طابق أسطواني الشكل ارتفاعه ١٥٠ مترا ينتهي من أعلى بجوسق قائم على ثماني اعمدة من الجرانيت، ويوجد من أعلى بناء مثلث الشكل يرتقي بأعلاه تمثال ضخم من البرونز يبلغ ارتفاعه سبعة امتار يمثل اله البحر بوسيدون[٣٩] وكان الصعود إلى المنار يتم بواسطة طريق صاعد ميسوط لا درج له[٤٠] وكان منار الإسكندرية عند بنائه يعد من أعاجيب الدنيا السبعة[٤١]، وظل المنار يحتل هذه المكانة طوال العصر الوسيط حتى طليعة القرن السابع الهجري عندما بدأ يفقد مكانته تدريجيا بسبب ما تعرض له بنيانه العلوي من تصدع وانهيار بسبب الزلازل المتتابعة، لا سيما زلزال سنة ١٨٠هـ الذي تسبب في هدم طابقة العلوي وظل المنار على هذه الحال حتى قام أحمد بن طولون (٢٥٤هـ - ٢٧٠هـ) بإصلاحه وترميمه فجعل في اعلاه قبة من الخشب لم تلبث أن تهدمت بفعل الرياح[٤٢]. وقد تعرض المنار لزلزال آخر عنيف سنة ٣٤٤هـ هدم ما يقرب من ثلاثين ذراعا من أعلاه[٤٣]. واستمر المنار قائما حتى قام السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري ببناء ما تهدم منه أثناء زيارته للإسكندرية سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢م) وأنشأ في أعلاه مسجدا لم يلبث أن تعرض بدوره للهدم عقب زلزال حدث سنة ٧٠٢هـ [٤٤] (١٣٠٢م). ويرجح المؤرخون أن تهدم المنار كله حدث فيما بين عامي ٧٢٥ و ٧٥٠ هـ (١٣٢٥، ١٣٤٩م)، وهما العامان

اللذان زار فيهما الرحالة ابن بطوطة الإسكندرية، ففى المرة الأولى كان أحد جوانبه وفقا لرواية ابن بطوطة مهدما، وفى المرة الثانية كان الخراب قد استولى على المنار تماما[٤٥]. ولم يبق من المنار فى سنة ٧٧٥هـ فى زمن النويرى السكندرى إلا البقعة التى كان يقوم عليها مما أوحى للسلطان قايتباى أن يبنى على أنقاضه برجا جديدا عرف ببرج قايتباى ومن خلال هذا العرض السريع يتبين لنا أن منار الإسكندرية كان لا يزال قائما عندما شرع الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدى فى بناء مدينة رباط الفتح، واستكملها بعد وفاته ولده يعقوب المنصور، وكان طلاب العلم المغاربة وحجاج المغرب القادمين إلى الإسكندرية يشاهدون المنار فيتفاءلون به ويعتبرون أنفسهم قد وصلوا إلى بر الأمان بعد رحلة بحرية صعبة تعرضوا خلالها لأخطار الغرق بحرا، فاصبح المنار راسخا فى مخيلاتهم ولعل ذلك كان حافزا على تقليد هذا المنار فى صوامع ومآذن المغرب التى كانت تقوم بالإضافة إلى وظيفتها فى الأذان بهداية الرحالة والمسافرين برا.

وإذا عدنا إلى ما ذكره كل من ابن خلكان وعبد الواحد المراكشى من التشابه بين صومعة جامع الرباط ومنار الإسكندرية فإن ذلك يعنى أن عرفاء البناء برباط الفتح استوحوا طريقة بناء المئذنة من منار الإسكندرية الذى كان لا يزال قائما فى عهد المنصور الموحدى[٤٦].

وقد أشار الدكتور السيد عبد العزيز سالم فى أحد أبحاثه إلى أنه يميل إلى الاعتقاد بأن منار الإسكندرية رغم اختلافه من حيث الوظيفة ومن حيث النسب عن المئذنة فى الإسلام قد أثر إلى حد كبير فى نظام المآذن فى

المغرب والأندلس ولاسيما مئذنة المسجد الجامع بالقيروان (٥٠١هـ) ومئذنة جامع صفاقس (٣٧٠/ ٩٨١م) والثلاث مآذن الموحدية مئذنة جامع الكتبية بمراكش وجامع قصبة الموحدين بإشبيلية ومئذنة جامع حسان[٤٧] بالرباط. ويذكر الدكتور سالم أن الشكل العام لمنار الإسكندرية كان هو النموذج الذى احتذاه المعماريون فى المغرب الادنى لمئذنتى القيروان وصفاقس، ولكن فى حالة المآذن الموحدية بمراكش واشبيلية وحسان بالرباط، فإن العمارة الداخلية للمنار كانت هى مصدر الإلهام لعرفاء البناء الذين أسسوا مآذن هذه المساجد الثلاثة[٤٨]. ومما لاشك فيه أن النص الذى اورده عبد الواحد المراكشى بهذا الصدد واضح وصريح وفى غاية الأهمية، ويؤكد بما لا يدع مجالا للشك فى أن صورة منار الإسكندرية كانت لا تزال راسخة فى مخيلة الخليفة أبى يوسف يعقوب المنصور وأنه أملى على مهندسيه رغبته فى أن تتشابه صومعة جامعه بالرباط مع منار الإسكندرية أولا من حيث الضخامة والارتفاع ومن المعروف أن طول كل جانب من قاعدة الصومعة يبلغ ١٥،١٦متر[٤٩] وهو يزيد كثيرا عن نظيره فى صومعة جامع إشبيلية وصومعة جامع الكتبية بمراكش، أما ارتفاعها اليوم فيبلغ ٤٤ مترا وكان مقدرا لها أن تتجاوز فى الارتفاع ٦٠ مترا، وثانيا من حيث النظام الداخلى للبناء حيث يتم الصعود إلى أعلى الطابق الأول عبر طريق مستو صاعد بدون درج أشار إليه عبد الواحد المراكشى عند وصفه لصومعة جامع حسان.

ويصف تيراس Terrasse هذا النمط الداخلى للبناء بقوله عن

الصوامع التوائم الثلاث «وبين الجدار الخارجي السميك والنواة الوسطى لايوجد درج وفق النظام الشائع للمآذن، وإنما يرتقى المرء عبر طريق صاعد بدون درجات بحيث يجتاز فى عطفات مؤربة (تتخذ زوايا قائمة) وقد طبق هذا النظام فى صومعة جامع إشبيلية (الجيرالدا) كما طبق فى صومعة جامع حسان بالرباط»(٩٠).

ولا يقتصر التشابه بين مدينتى الإسكندرية ورباط الفتح على النواحى العمرانية والمعمارية فحسب، وإنما أيضا فى الغرض الذى من أجله أنشئت كلتا المدينتين. ففى حالة مدينة الإسكندرية نلاحظ أن موقعها على ساحل البحر المتوسط أوحى لبانيها بأنها ستشغل دائما مكانة استراتيجية رفيعة، وتتبوأ مركزاً اقتصاديا سامقا عبر كل العصور، وكذلك كان الأمر بالنسبة لمدينة رباط الفتح وإن كانت مكانتها الإستراتيجية قد فاقت مكانتها الاقتصادية.

فالإسكندرية أتسعت عمرانيا منذ إنشائها بالعظمة والفخامة ذلك لأن بطليموس الأول (سوتر) كان حريصا على تزويدها بكل ما كانت تحتاج إليه من مقومات هذه الفخامة والاتساع العمرانى، فقد ربط بين جزيرة فاروس وبين المدينة برصيف يبلغ طوله نحو ١٢٥٠ مترا وعرضه نحو ٣٠ مترا، وقدر لهذا الرصيف أن يتسع بمرور الزمن ويصبح حيا هاما من أحياء المدينة كما اعطى هذا الرصيف للمدينة بعدا استراتيجيا قويا فى ذات الوقت، فقد قسم ميناء الإسكندرية إلى ميناءين إحداهما شرقية وتعرف بالميناء الكبير Megas Limen والاخرى غربية وتسمى أيونو ستوس أى العود الحميد

Eunostos وعرفت أيضا بميناء السلام، وهى الميناء الحالية[٥١]. وكان هذان الميناءان يتصلان فيما بينهما عن طريق ممرين محصنين فتحا بالرصيف عند طرفيه الجنوبى والشمالى. كما مد بطليموس من الطرف الشمالى لرأس لوكياس (رأس السلسلة) شريطا صخريا ينحنى نحو الغرب وظيفته حماية الميناء الشرقى من عواصف البحر وأنوائه. وهكذا أصبح ميناء الإسكندرية يفوق سائر موانئ البحر المتوسط منعه وحصانة. وكان يحيط بالإسكندرية فى العصر البطلمي وطوال العصر الرومانى والبيزنطى سور مجرى عظيم مزود بأبراج ضخمة يفوق فى امتداده أسوار المدن الإغريقية الأخرى باستثناء أسوار سوقوصة وأثينا[٥٢]. واستمرت هذه الاسوار الحصينة التى اكسبت المدينة منعة وقوة إستراتيجية إلى أن فتحها العرب بعد حصار طويل تخللته مفاوضات انتهت بتسليم المدينة للمسلمين[٥٣].

وكان بالإسكندرية فى العصر البطلمى دار لصناعة السفن وهى نفس دار الصناعة التى اتخذها عبد الله بن سعد بن أبى السرح بعد تجديدها[٥٤] لصناعة السفن الإسلامية التى عهد إليه معاوية بن ابى سفيان بصناعتها ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها هى نفسها دار الصناعة الغربية التى كانت تقع عند نهاية المطرق الغربى داخل سور الإسكندرية ويلصق السور، وقد توصل إلى هذا الرأى بعد اكتشافه لأثر له أهميته فى القطاع الغربى من الإسكندرية لصق سورها المصاقب للباب الأخضر ويتميز هذا الأثر بمدخل على هيئة الصرح المصرى القديم، ومن الواضح أنه قد تبقى من مدخل دار الصناعة البطلمية، ويؤدى إلى درج يفضى إلى باب إسلامى

ذى ممر منكسر تعلو مدخله فتحة طويلة ضيقة لعلها كانت مكانا يرتفع إليه المشط الحديدى الذى كان صلاح الدين خليل بن عرام نائب السلطنة بالإسكندرية قد دعم به تحصين هذا الباب سنة ٧٧٧ هـ عقب غارة القبارصة على المدينة سنة ٧٦٧هـ(٥٥).

ولعل هذه المكانة الرفيعة التى تبوأتها الإسكندرية والحصانة والمنعة التى اتسمت بها منذ نشأتها هى التى دفعت ولاة الإسكندرية منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر الأموى إلى تحصين سواحلها بالأربطة والنواظير، وكان خوف المسلمين على هذه المدينة من التعرض للاعتداءات البيزنطية البحرية الدافع الرئيسى وراء اعتبارهم لها منذ افتتاحها ثغرا من الثغور الإسلامية التى يفد إليها المرابطة بقصد الرباط وقد نزلت قبائل العرب بالإسكندرية منذ أيام عمرو بن العاص وانتجعوها للرباط والجهاد وقبل أن نستطرد فى الحديث عن وضعية الإسكندرية فى العصر الإسلامى كرباط وثغر للجهاد، نود أن نشير إلى أوجه التشابه فيما ذكرناه بينها وبين رباط الفتح.

إذن فقد كانت لكل من المدينتين مكانة إستراتيجية فى التاريخ القديم والوسيط أهلتها لتتبوأ المكانة المتميزة التى ظهرت بها فى العصر الإسلامى، وإذا كنا قد أشرنا إلى تحول مدينة الإسكندرية إلى ثغر ورباط عقب الفتح الإسلامى لمصر مباشرة فإن رباط الفتح منذ أن أسست قصبتها المسماة بالمهدية ومن عبد المؤمن بن على بنيت على هذا الأساس ولهذا الغرض لكى تكون رباطا يقصده الراغبون فى الجهاد. وقد اهتم كل من الخليفة أبى

يعقوب يوسف وأبي يوسف يعقوب المنصور باحاطة مدينة رباط الفتح بأسوار قوية ومنيعة لاتقل في المنعة والحصانة عن أسوار الإسكندرية البطلمية. وفيما يتعلق بصناعة السفن فإن دار صناعة سلا التي كان بابها مسامتا لجامع حسان كانت تقوم بهذه المهمة وكانت الرباط كما أثبتنا في كتابنا عن مدينة رباط الفتح(*)، ميناء حربية وتجارية هامة طوال العصر الإسلامي.

ونتوقف قليلا للإشارة إلى نظام الرباط والأربطة قبل أن نسترسل في الحديث عن المدينتين كربط إسلامية هامة.

المرابطة تعني ملازمة ثغر العدو وتعني أيضا المحافظة على أوقات الصلاة طبقا لتفسير الإمام أبي بكر الطرطوشي(٥٦) للآية الكريمة «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»(٥٧). ومن ذلك يتبين أن الرباط يعني المكان الذي يجتمع فيه الفرسان المجاهدون قبل الخروج إلى دار الحرب للجهاد وكان يجتمع فيه أيضا أهل الزهد والنسك والتصوف تقربا لله(٥٨).

وقد ارتبط الجهاد بالرباط والمرابطة فأصبح من أخص صفاتهما(٥٩). وقد استقى هذا المفهوم من الآية القرآنية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»(٦٠).

ويختلف المؤرخون فيما بينهم حول تحديد بداية ظهور الأربطة في التاريخ الإسلامي، فبينما يرى كل من الدكتور السيد عبد العزيز سالم والدكتور محمد توفيق بليغ والدكتور محمد الأمين بلغيث أن الأربطة ظهرت

لأول مرة فى المشرق الإسلامي قبل بلاد المغرب وذلك عقب الفتوحات الإسلامية مباشرة لحماية المناطق الساحلية التى كانت فى حوزة المسلمين، فساحل الشام كله كان يعتبر رباطا بعد الفتح إذ تنتهى عنده الحدود الإسلامية وتبدأ الدولة البيزنطية، وتتناثر على تلك الحدود الثغور، وكانت ملازمة هذه الثغور أسمى ما يصل إليه المسلم من تقوى، وكان بناء الربط أو الأربطة وملازمة المسلمين ومرابطتهم فيها يرصع ثغور الشرق فى البر والبحر[٦١] وكذلك كان الحال فى مصر[٦٢] بعد الفتح الإسلامى حيث اعتبرت الإسكندرية ثغرا ورباطا فقد أرسل إليها عمرو بن العاص عقب الفتح قبائل العرب لسكناها وحراستها والمرابطة فيها فنزلت قبيلة لخم فى المكان المعروف بكوم الدكة وجذام ببركة حذام ونزلت كندة بالبراكل، ونزلت الازد بحارة الازدى وحضرموت بشارع الحضارمة بينما نزلت خزاعة والمزاغنة بناحية أبى قير شرقى الإسكندرية، وبدأت تنتشر الاحاديث النبوية فى فضل الإسكندرية والرباط فيها لتشجيع المرابطة والمشاغرة ومن هذه الأحاديث حديث عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول «المقيم بالإسكندرية ثلاثة أيام من غير رباء بمنزلة من عبد الله سبعين سنة ما بين الروم والعرب»[٦٣]. وحديث آخر عن سعد بن أبى وقاص ذكر فيها رسول الله أن الإسكندرية وعسقلان عروستان والإسكندرية أفضلهما ومن رابط بالإسكندرية أربعين يوما كتب الله له براءة من النار[٦٤]. أما بالنسبة لأربطة المغرب فقد اهتم الدكتور حسن محمود بإبراز دورها فى هذه البلاد المغربية دون الإشارة إلى دورها فى المشرق الإسلامى، وأوضح أن بداية ظهورها على سواحلها كان لرد الخطر البيزنطى عن الأراضى حديثة العهد بالإسلام،

وأن الربط فى المغرب كانت فى أوائل الأمر مجرد حصون تقام فى المناطق الأكثر تعرضا لغارات العدو. وأشار إلى أن القيروان تعتبر أول رباط كبير يتخذه العرب لصد غارات الروم مفسرا كلمة قيروان بأنها موضع اجتماع الجيش وقيل محط أثقاله وأشار تأكيدا ودعما لرأيه إلى النص الذى أورده الدباغ فى كتابه معالم الإيمان من أن عقبة بن نافع أراد ببنائه القيروان أن تكون محل رباط(٦٥).

كما أشار الدكتور حسن محمود إلى أن برقة اعتبرت رباطا وأشار إلى مرابطة زهير بن قيس البلوى بها عقب انسحابه من القيروان ثم مالبثت الأربطة أن تزايدت فى عصر دولة الأغالبة وعرفت آنذاك بالقصور والمصالح(٦٦).

ويذكر الدكتور فرحات الدشراوى بعد أن استعرض الخطر البيزنطى على السواحل العربية الإسلامية عقب الفتوحات الإسلامية للشام ومصر والمغرب أن اقدم رباط فى المغرب هو رباط سوسة الذى يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد يزيد بن حاتم المهلبى (١٥٥ - ١٧١هـ) ويليه رباط المنستير الذى يرجع إلى عهد الوالى العباسى هرثمة بن أعين (١٧٩-١٨١هـ)(٦٧). وقد أشار كل من خايمى أوليفر آسين Jaine Oliver Asin ومانويلا مارين Manuela Marin إلى أن أقدم الأربطة التى ظهرت فى العالم الإسلامى هو رباط عبادان الذى أقيم فى جزيرة بين ذراعين من دجلة والفرات عند الخليج العربى(٦٨).

ومن الجدير بالذكر أن الرباط فى المغرب الإسلامى عند نشأته، لم يتخذ طابعا عسكريا عدوانيا أو هجوميا حيث لم تنظم حملات عسكرية ضد المسيحيين فى تلك المرحلة البكرة، وإنما كانت مهمته الأساسية الحفاظ على المكاسب الإسلامية والدفاع عنها ضد أى عدوان يقوم بعد العدو[٦٩] .

أما نظام الحياة فى الرباط الإسلامى بوجه عام وفى المغرب الإسلامى على وجه الخصوص فقد اتسم بطابع دينى خالص، وإن كان بعض المرابطين يغادرون رباطهم أحيانا لفترات مؤقتة ثم يعودون إليها من جديد، ولكن جرت العادة أن يقضى المرابط عشرين أو ثلاثين عاما فى الرباط وربما حياته كلها حتى الوفاة، ولم يكن بقاؤه فى الرباط راجع إلى ضغط من أحد وإنما كان نابعا من رغبته الشخصية فحسب. وفى كثير من الأحيان كان المرابطون يلتزمون الزهد والتقشف الشديد فى الحياة[٧٠] . وقد أدى ذلك إلى ظهور حركة صوفية قوية بدأت فى أربطة المشرق الإسلامى فى القرن السادس الهجرى (١٢م) حولت الرباط إلى مقر دينى أو «ديرى» على حد تعبير أحد المستشرقين[٧١] . وقد انتقلت هذه الروح شيئا فشيئا إلى الرباط فى المغرب الإسلامى فظهرت طبقة كبيرة من الصلحاء والمريدين والمتصوفة فى عهد المرابطين والموحدين[٧٢] فى المغرب لاسيما فى المنطقة الغربية التى كانت فيما مضى مجالا لدولة برغواطة المنحرفة[*] وقد أفرد لهم ابن الزيات التادلى كتابا خاصا مسماه التشوف إلى رجال التصوف[٧٣] وتشير هناك إلى ازدهار حركة التصوف فى الإسكندرية أسوة بما حدث فى المغرب الأقصى ولعل أشهر هؤلاء الصوفية عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى

(ت٦١٢هـ)[٧٤] ولا عجب أن تزدهر حركة الصوفية في الإسكندرية مثلما ازدهرت في بلاد المغرب، فقد كانت ظاهرة التصوف في القرن السادس الهجري، ظاهرة عامة في العالم الإسلامي كله وكان لزعماء الطرق الصوفية، المكانة المميزة في الدعوة إلى الإسلام، وإعادة المجتمعات الإسلامية إلى الطريق السليم[٧٥].

ولم تقتصر حركة التصوف في هذا العصر (القرنين السادس والسابع الهجريين) على جماعة من الزهاد والمتصوفة بل عمت كافة الطبقات في المجتمع المغربي. وقد حظي الصلحاء وأهل التصوف بمكانة مرموقة لدى الخليفة أبي يعقوب المنصور الموحدي الذي كان يستقبلهم بحفاوة عظيمة ويجزل عليهم العطاء[٧٦]، مما شجع كل طبقات المسلمين على الانخراط في المرابطة وأصبح الرباط والجهاد فرض واجب على كل مسلم لا فرق بين قاض وفقيه وأديب وتاجر وصانع وفلاح[٧٧] .

ولعل هذا يذكرنا بالإجراء الذي اتخذه يعقوب المنصور لتشجيع التجار والصناع والفلاحين على الوفود إلى رباط الفتح والاستقرار فيها عندما أمر أن يمنح كل ساكن فيها تعويضا علاوة على ما تدر عليه مهنته اجتذابا لفئات مختلفة من الناس للمرابطة في هذه المدينة، وقد فقدت الأربطة دورها العسكري إلى حد كبير في أواخر عصر المرابطين وأصبحت مدرسة أو مؤسسة للتعليم والعبادة بعد ظهور حركة التصوف في العصر الإسلامي[٧٨].

وكان وصف الرباط الإسلامي كمؤسسة جهادية وتعليمية دينية، مجالا

لدراسات عديدة لعل أشهرها الدراسة التى قام بها الدكتور محمد توفيق بلبع وتلك التى أصدرها Jaine Olive Asin [٧٩] وتلك التى قام بها الدكتور محمد الأمين بلغيث ومجموعة الأبحاث القيمة التى ساهم بها الأساتذة مانويلا مارين والدكتور فرحات الدشراوى والدكتور جمعة شيخة والدكتور ميكل دى أبالثا والدكتور مانويل اسبينار Manuel Espinar Moreno فى مؤتمر «الرباط الإسلامى» الذى عقد فى قطالونيا ١٩٨٩ بإسبانيا. وقد أشارت بعض هذه الدراسات الى أن الربط نوعان ربط للرجال، وربط للنساء، أما الرجال فكانت مهماتهم دينية وحربية فى حين كانت ربط النساء ذات طبيعة اجتماعية، فهذه الربط النسائية لم تكن تستخدم لمجرد التعبد وإنما كانت مجالا لإيواء النساء المطلقات أو الأرامل أى بمثابة ملاجئ لهن مثل رباط البغدادية فى القاهرة[٨٠] . ولم يكن وجود المرأة ملحوظا فى الفترة الأولى ولكن فيما بعد أصبحت النساء تؤلف جزءا من مجتمع المرابطين[٨١] لاسيما فى رباط صفاقس والمنستير وقصور طرابلس الغرب وفى رباط سلا (رباط الفتح). ويرى د. محمد الأمين بلغيث أن رباط سلا (نواة رباط الفتح) الذى ذكره ابن حوقل وأشار إلى أنه كان يحتوى على أكثر من ١٠٠ ألف انسان وكان يضم رجالا ونساء أيضا حيث أن ١٠٠ ألف عدد كبير فى رأيه، وفى تصوره أن هذا العدد الضخم لم يكن قاصرا على الرجال خاصة وأن ابن حوقل لم يحدد نوع هؤلاء المرابطين وأنه لو أراد أن يعبر عن ذكورتهم لأضاف بعد الرقم كلمة رجلا كتمييز لجنس المرابطين فيه ولكنه عمم التمييز فاختار كلمة «إنسان»[٨٢] .

وعلى هذا النحو كانت كل من الإسكندرية ورباط الفتح دار رباط هامة[٨٣] وقد قيل في فضل الرباط بالإسكندرية أقوالاً كثيرة وكتبت في ذلك رسائل كثيرة منها على سبيل المثال «رسالة في فضائل الإسكندرية» وهي مخطوطة مجهولة المؤلف اشتملت على فتح الإسكندرية وفضل المرابطة فيها وذكر اسوارها وعدد مساجدها وهي محفوظة في المكتبة التيمورية بالقاهرة[٨٤] وكتاب «الدرة السنية في تاريخ الإسكندرية». صنفه أبو مظفر منصور بن سليم السكندري (ت ٦٧٣هـ)[٨٥] ومخطوط «فضائل الإسكندرية» لأبي على الحسن بن عمر بن أبي اسحاق المعروف بابن الصباغ[٨٦] .

وقد نزل الإسكندرية عدد كبير من الصحابة منهم سرق بن أسيد ويقال أسد الجهني أو الديلمي أو الأنصاري، [٨٧] وعبد الله بن عمرو بن العاص[٨٨] وسفيان بن هانئ بن جبير ابو سالم الجيشاني الذي توفي بالإسكندرية في إمارة عبد العزيز بن مروان[٨٩] وعلقمة بن يزيد المرادي الغطيفي الذي تولى رابطة الإسكندرية زمن معاوية بن أبي سفيان[٩٠] . كما نزلها من التابعين ثمامة بن شفي الهمذاني وزاهر بن معبد بن عبد الله بن هشام[٩١] ، ومن تابعي التابعين سعيد بن يزيد الحيري القتباني الإسكندراني وطلحة بن أبي سعيد الإسكندراني والعلاء بن كثير الإسكندراني[٩٢] ولم تكن الإسكندرية وحدها في مصر دار رباط فقد انتشرت الحصون والمصالح والاربطة على طول ساحل الإسكندرية مما جعل ابن رسته يصف رباطات الإسكندرية ويسميها المحارس[٩٣] ولعل وجود هذه المحارس كان سببا في تسمية الإسكندرية بالثغر المحروس[٩٤] .

واستمرت الإسكندرية طوال العصر الإسلامى مركزا بحريا قفاليا متميزا وتعرضت لغارات الصليبيين فى أواخر العصر الفاطمى، فقد ناصر أهلها القائد صلاح الدين يوسف بن أيوب ضد شاور الوزير الفاطمى الخائن وحلفائه من الصليبيين ووقف أبناء هذه المدينة المجاهدة وراء صلاح الدين الذى احتمى بها من أعدائه، وحاول شاور أن يغرى أهل الإسكندرية بكافة وسائل الإغراء لخذلانه، ولكن مساعيه باءت بالفشل وقد تعرضت الإسكندرية فى أوائل العصر الأيوبى لحملة بحرية قام بها وليم الثانى النورماندى ملك صقلية سنة ٥٦٩هـ، ولكن أهلها تصدوا لهذه الحملة وردوا هذا العدوان. وفى عام ٧٦٧ هـ تعرضت الإسكندرية لغزوة قام بها بطرس لوزينان على المدينة، وتعد هذه الحملة القبرصية إحدى الحملات الصليبية المتأخرة.

ونلاحظ أن الإسكندرية وحدها كانت تضم عددا كبيرا من الربط منذ عهد ابن رسته وحتى غزوة القبارصة، مما يؤكد على أهميتها الإستراتيجية . وكان منار الإسكندرية نفسه أحد هذه الأربطة وذلك قبيل بناء قلعة قايتباى على بقعته بعد تهدمه(٩٥) . وترجع أهم الأربطة التى أنشئت بمدينة الإسكندرية ووصلت إلينا أسماؤها فى المصادر العربية إلى القرنين السابع والثامن للهجرة. ومن أشهرها رباط الواسطى الذى كان يقع شرقى مسجد ابى العباس المرسى، وكان عبارة عن زاوية صغيرة تقوم في جهتها القبلية قبة صغيرة يتوسطها قبران، الشرقى منهما هو قبر منشئ الرباط الشيخ أطلكين شهاب الدين أبى على منصور بن الشيخ السعيد الأمين أبى الفتوح

نصر بن الشيخ أبى الفضل الواسطى، المتوفى سنة ٦٧٢[٩٦] . ومنها رباط سوار الذى كان يقع بظاهر الإسكندرية من الجهة الشمالية الشرقية حيث منطقة الشاطبى حاليا أقام به نزيل الإسكندرية أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى [٩٧] المتوفى سنة ٦٧٢هـ. أما رباط الهكارى فقد انشأه محمد بن الأمير زين الدين أبى المفاخر بن عبد الله الهكارى (ت٦٨٢هـ) متولى ثغر الإسكندرية زمن السلطان المملوكى المنصور قلاوون، ودفن فى رباطه بخارج باب رشيد، وقد تولى ابنه حسام الدين ولاية الإسكندرية فى سلطنة الأشرف خليل[٩٨] . ومنها رباط ابن سلام الذى أسسه الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلام خارج باب البحر بشبه جزيرة المنار قبل وقعة القبارصة سنة ٥٦٧ هـ بأكثر من سنة، وقد استشهد فيه أكثر من ثلاثين مجاهدا كانوا بأعلى الرباط عندما داهمهم القبارصة. أما رباط وتربة الأمير طغية فكان يقع فى شبه جزيرة المنار بالقرب من رباط ابن سلام وكان يقوم حوله عدد من الأضرحة، ومنها رباط قجماس الإسحاقى الذى عمره الامير قجماس الإسحاقى نائب سلطنة الإسكندرية فى أيام الاشرف قايتباى خارج باب البحر على شاطئ بحر السلسلة[٩٩] .

وفيما يتعلق بالمغرب الأقصى، فإن أول عهده بالربط يتمثل في رباط شاكر، وهذا الرباط نال شهرة كبيرة وأصبح مقصدا للأولياء والصوفية[١٠٠] . أما رباط نكور فقد بنى على ساحل البحر عند مصب نهرى نكور ونيس لتحصين هذه المنطقة وحمايتها من الاعتداءات البحرية على مدينة نكور نفسها التى تبعد خمسة أميال إلى الداخل، وقد تم بناؤه سنة ٢٦٣هـ

(٨٧٧م) على يد سعيد بن صالح. ويذكر الدكتور محمد توفيق بلبع أن غارات النورمانديين على سواحل الأندلس والعدوة وهجومهم على مدينة نكور وتغلبهم على أهلها وإقامتهم بها ثمانية أيام قبل ارتداهم عنها محملين بالغنائم والأسلاب، كان العامل الأساسي وراء بناء رباط نكور[١٠١] ، في حين يرى جورج مارسيه، ويميل إلى الأخذ بوجهة نظره الدكتور محمد الامين بلغيث، أن رباط نكور إنما ابتنى هو ورباط شرشال ورباط وهران ورباط سلا (رباط الفتح) للقضاء على دولة برغواطة في تامسنا[١٠٢] .

ومن الأربطة المغربية أيضا رباط قوز الذى أطلق عليه صاحب كتاب الاستبصار اسم «جوز»، ويعد من أشهر الأربطة المغربية، وقد أقيم على ساحل البحر المحيط عند مصب وادى تنسيفت الذى تقع مراكش على أحد روافده، وكان رباطا مخصصا لمجاهدة برغواطة الملحدة، كما كان مركزاً تجاريا هاما تقصده السفن من جميع البلاد وكان البحريون وأصحاب السفن يفضلون أن تكون أحوال البحر فى هذه المنطقة عند إبحارهم غير مستقرة حتى يضمنوا سلامتهم وحسن سير الرياح بعكس ما هو شائع ومعروف عن الملاحة البحرية[١٠٣] .

أما رباط الفتح فكانت رباطا تنطلق منه القوات الموحدية منذ أيام الخليفة عبد المؤمن بن على، وبعد ذلك القوات المرينية للجهاد فى الأندلس أو للقتال مع أعدائهم فى أنحاء بلاد المغرب المختلفة، بل أن اسمها فى حد ذاته يؤكد هذا الدور الذى اضطلعت به وكذلك الخاصية الإستراتيجية الجهادية لهذه المدينة.

واعتقد أن السر وراء اختيار الخليفة الموحدى الرشيد مدينة رباط الفتح دون غيرها من مدن المغرب لينزل فيها أهل شرق الأندلس الذين هجروا بلادهم بعد سقوطها فى أيدى الأرجونيين، يرجع إلى الدور الجهادى الذى تقوم به هذه المدينة وشخصيتها باعتبارها رباطا، فلعله أراد من الاندلسيين النازحين أن يقيموا فى رباط دائم ليتيح لهم الفرصة للخروج فى حملات للجهاد ضد الإسبان الذين انتزعوا مدنهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، وهذا ما حدث بالفعل فى الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى رباط الفتح فى القرن ١٧م، وكان هؤلاء الأندلسيين لا يترددون يوما فى المشاركة فى الحملات الموجهة ضد النصارى(١٠٤) .

كذلك تشابهت كل من المدينتين، الإسكندرية، ورباط الفتح، من حيث أوضاعهما الاقتصادية، فالإسكندرية اختارها البطالمة حاضرة لهم فى مصر لعبقرية الموقع الذى تشغله، فالبطالمة كانوا يفضل هذا الموقع ليتحكموا فى الطرق التجارية العالمية المختلفة باعتبار أن الإسكندرية كانت ملتقى طرق التجارة العالمية المختلفة آنذاك، وبالتالى أصبحت الإسكندرية المركز التجارى الأساسى فى شرقى البحر المتوسط(١٠٥) . واستمرت الإسكندرية طوال العصور القديمة، وفى العصر الإسلامى الوسيط حلقة الاتصال التجارى بين الشرق والغرب. ولم تفقد مكانتها التجارية فى العصر العباسى على الرغم من سيطرة بغداد على تجارة العالم الإسلامى وذلك يرجع أساسا إلى موقعها الرائع على البحر المتوسط، وإلى اتصالها بالنيل عن طريق خليجها، وأصبحت الإسكندرية الوسيط التجارى بين الشرقى الأقصى مصدر التوابل

والكارم عصب التجارة العالمية فى العصور الوسطى وبين الغرب الإسلامى والأوروبى[١٠٦] .

ويلفت الإسكندرية فى عصر الدولة الأيوبية المعاصرة لدولة الموحدين فى المغرب، وفى الوقت الذى استكملت مدينة رباط الفتح تأسيسها، أوج نشاطها التجارى فكانت سوقا هائلة للتجارة العالمية وإليها كانت تتدفق معظم منتجات الشرق من طيب وبواقيت وعطور وتوابل مما أذهل بعض الرحالة الأوروبيين أمثال بنيامين التطيلى وبرغارد الذى زار مصر سفيرا للإمبراطور فريدريك بربا روسة سنة ١١٧٥[١٠٧] رغم الحروب المتواصلة التى خاضتها مصر ضد الصليبيين.

ونتج عن ازدهار التجارة فى الإسكندرية أن كثر بها عدد تجار الافرنج، وقد اجتمع بالإسكندرية زمن الملك العادل وحده نحو ثلاثة آلاف تاجر اجنبى[١٠٨] كما أقامت الجمهوريات الإيطالية لها فنادق بالإسكندرية[١٠٩] .

ولسنا بصدد الدخول فى تفاصيل حول الازدهار الاقتصادى لمدينة الإسكندرية فى العصور الإسلامية لأن ذلك كان مجالا لدراسات قيمة[١١٠] ، وإنما قصدنا من غرضنا هذا الإشارة إلى التشابه الكبير بين ما بلغته الإسكندرية من تألق اقتصادي واضح المعالم وما بلغته مدينة رباط الفتح من ازدهار اقتصادى سبق أن أشرنا إليه فوفقا لما ذكره كل من ابن صاحب الصلاة وصاحب كتاب الاستبصار زخرت المدينة بالأسواق وأقيمت فيها قيسارية وعدة فنادق مما يعبر على نشاط واسع النطاق للحركة التجارية.

ولعل العثور على عملات أجنبية فى رباط الفتح زمن الخليفة الناصر الموحدى يؤكد هذا الازدهار التجارى.

ونختتم دراستنا عن أوجه التشابه بين الإسكندرية ورباط الفتح بالتطرق إلى نقطة هامة أخيرة تتعلق بعلاقة كل من المدينتين بالأندلسيين المهاجرين من بلادهم، إما قبل سقوط مدنهم أو عقب سقوطها فى أيدى الإسبان مباشرة أو بعد الطرد الأخير.

فإذا كانت مدينة رباط الفتح عرفت فى التاريخ بأنها مدينة أندلسية خاصة بعد صدور ظهير الخليفة الرشيد الموحدى الذى سبق أن تحدثنا عنه بشئ من التفصيل فى القسم التاريخى من هذا البحث، وهو الظهير الذى بمقتضاه وهبت المدينة لأهالى شرق الأندلس المهاجرين بعد سقوط بلادهم فى أيدى الأرجونيين بحيث أصبحت منذ ذلك التاريخ منزلا لمهاجرى الأندلس الذين آثروا التوطن فيها باعتبارها رباطا ومنطلقا يجاهدون منه العدو الذى استولى على بلادهم، فإن الإسكندرية بدورها كانت طوال العصور الإسلامية وثيقة الصلة بالأندلس شأنها فى ذلك شأن مدينة رباط الفتح، وكان ارتباطها بالاندلس متعدد الجوانب فكان ارتباطا اجتماعيا وعلميا واقتصاديا مما دفع العديد من المؤرخين إلى الاعتقاد أن بحر الإسكندرية ينتهى[١١١] عند المحيط الاطلسى، وفيها استقر عدد من الأندلسيين الذين آثروا الاستقرار فى أرضها بعد سقوط مدنهم فى أيدى الإسبان المسيحيين، وفيها استقر عدد كبير من العلماء أمثال الشاطبى وأبى العباس المرسى والطرطوشى، وكان العامل الدينى أيضا أحد الأسباب التى أدت إلى تعميق الصلة بين

الإسكندرية وبين المغرب الإسلامى، فقد كان حجاج المغرب والأندلس يؤثرون الرحلة إلى الإسكندرية ومنهـا يرحلون إلى مكة سـواء عن طريق وادى العلاقى وعيذاب أو عن طريق سيناء وعدت لذلك باب المغرب، ولا ينبغى أن نغفل العامل العلمى فقد كان طلب العلم ببلاد المشرق الإسلامى هدفا رئيسيا لأهل المغرب والأندلس فكان طلاب العلم يتجشمون أخطار الرحلة ومتاعبها للالتقاء بشيوخ المشرق الإسلامى فى الإسكندرية والقاهرة والفسطاط وقوص وبغداد والكوفة ودمشق وحلب ومكة والمدينة خاصة مع امتزاج مفهوم التجارة بالعلم فى الإسلام[١١٢] .

ومن أشهر من زار مصر من علماء الأندلس ونزل بالإسكندرية واستقر بها محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسى الوادياشى الأندلسى الذى درس على عبد الرحمن بن مخلوف بها كما جال فى البلاد المشرقية وتوفى سنة ٧٤٩ هـ[١١٣] . وعلى بن أحمد بن حديدة الأندلسى الذى ولد فى حدود سنة ٦٦٥ هـ وعاش بالإسكندرية وعمر بها عدة زوايا وتوفى ببيت المقدس سنة ٧١٩هـ [١١٤] .

ومن العلماء الأندلسيين الذين زاروا الإسكندرية بعد سقوط مدنهم إبراهيم بن عبد الملك بن ابراهيم الجزامى اليرانتيشى نسبة إلى حصن برنتيش من غرب الأندلس من أعمال اشبونة التى سقطت سنة ٥٤٢هـ. وقد استقر هذا الأندلسى بالقاهرة ووصفه السخاوى بانه تاجر السلطان ثم انتقل للمعيشة فى الإسكندرية وبها توفى فى أول شعبان سنة ٨٨٠ هـ وكان من أصحاب الأشرف قايتباى. وقد أوصى قبيل وفاته بمعظم تركته لأهله

الذين كانوا لا يزالوا يعيشون فى برنتيش بالإشبونة فى ظل الحكم البرتغالى، وبعد وفاته وفد إلى مصر قريب له يكنى بأبى الفضل بن أبى عبد الله محمد البرنتيشى، وهو ابن عم والده، سعيا إلى الظفر بميراث قريبه، وقد استقر فى متجرهاإلى أن توفى بالإسكندرية فى سنة ٨٩٢هـ[١١٥]. غير أن مدينة رباط الفتح فاقت الإسكندرية فى اجتذاب أعدادا لا حصر لها من مهاجرى الأندلس لاسيما فى العصر الحديث عقب الطرد الأخير للموريسكيين، فهجرات الموريسكيين إلى الإسكندرية كانت محدودة إذا ما قورنت بما حدث فى حالة رباط الفتح وفاس ومدن تونسية مثل تستور وزغوان وتونس نفسها وكذلك الجزائر الحالية، ويرجع ذلك فى تصورى إلى العامل الذى سبق أن أشرت إليه وهو كون مدينة رباط الفتح رباطا للجهاد، مما يناسب وضع هؤلاء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ويلائم نفسيتهم ويسهل لهم الانتقام بالجهاد ضد النصارى، وكذلك بحكم كون رباط الفتح وباقى مدن المغرب الأقصى والأوسط، والأدنى أقرب إلى بلاد الأندلس من مصر.

ونود أن ننهى هذا البحث بأنه إذا كانت الإسكندرية قد حظيت فى العصور القديمة بشهرة تجاوزت الآفاق بفضل منارها الذى يعد من عجائب الدنيا السبع فإن مدينة رباط الفتح على حد قول المؤرخ بوجندار كانت فى حد ذاتها من الأعاجيب ويعبر عن ذلك بقوله «إن بناء الرباط هو من الأعجايب التى أجراها الله تعالى على يد هذا السلطان الأعظم الدالة على اتساع دائرة فكرته إذ قلما توجد مدينة على تلك الصفة إلا مواضعها رجل عظيم حكيم وقد أودع من بدائع الصنائع لديه»[١١٦].

الحواشي

١- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، طبعة بيروت، جـ ٧، ص ٩.

٢- الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء ١٩٥٤ جـ٢، ص ١٨١ - وارجع كذلك إلى محمد بن على دنية، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، الرباط، ١٩٨٦، ص ٤٢.

٣- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٦٦.

٤- يذكر بعض المؤرخين ومنهم الدكتور محمد الأمين بلغيث أن الخليفة المنصور الموحدى أراد ببنائه جامع حسان على غرار منار الإسكندرية واتمامه بناء المدينة على نفس نسق المدينة المصرية، منافسة مدينة الإسكندرية (محمد الامين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصرى المرابطين والموحدين رسالة ماجستير، إشراف عبد الحميد حاجيات، الجزائر، معهد التاريخ ١٩٨٧، ص ٢١٧.

٥- قصبة الوداية هي موضع القصبة الأولى التي بناها الخليفة الموحدى عبد المؤمن به على أنقاض رباط تاشفين بن على.

٦- عن برغواطة ارجع إلى سحر سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ١ - ١٠٠.

٧- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق د. عبد

الهادى التازى، بيروت، ١٩٦٤، ص ٤٤٧.

٨- عبد الواحد المراكشى، المعجب ، ص ٣٥٩.

٩- Henri Terrasse, L'Art Hispano-Mauresque Des Origines au XIIIe Siecle, Paris, P. 288.

وإن كانت الباحثة جانيت أبو لغد لا ترى أى تشابه بين المدينتين وتعتبر أن ما ذكره المؤرخون عن أوجه هذا الشبه إنما هو من قبيل الدعاية لمدينة رباط الفتح لتركيز الانظار عليها وعلى ما أقام بها المنصور الموحدى عندما اهتم ببنائها (Jante Abo Lughod, Rabats, Urban, Apartheid in Morocco, New Jersey, p. 56 - 57).

وفى تصورى أن ما أوردته الباحثه ابو لغد مبالغ فيه، ومجاف للحقيقة التاريخية فما جدوى ما يذكره ابن خلكان وهو مؤرخ مشرقى من تسليط الأضواء على مدينة رباط الفتح وتشبيهها بمدينة الإسكندرية اللهم إلا إذا كانت هناك أوجه تشابه بين المدينتين، وهذا ما سنحاول إبرازه وتوضيحه على الصفحات التالية.

١٠- زكى على ، الإسكندرية، تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها فى عصر البطالمة، مجلة كلية الآداب، الإسكندرية، ١٩٤٤، المجلد الثانى: ص ١٢١ - ١٢٢. محمد عواد حسين، مقال عن تخطيط المدينة فى كتاب محافظة الإسكندرية، ص ١٢ . السيد عبد العزيز سالم، تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها فى العصر الإسلامى، بيروت، ١٩٦٣، ص ٣٩. السيد عبد العزيز

سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ١٣. مصطفى العبادى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، الإسكندرية، ص ٢٠.

١١- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ١٣.

١٢- Breccia, Alexandria ad Egyptum , Bergamo, 1922, P. 78.

(*) Jacques Caillé , La Ville De Rabat, Paris, 1945, vol I, p. 45.

١٣- لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات فى تاريخ مصر، عصر البطالمة الإسكندرية، ١٩٦٧، ص ٢٦٤.

١٤- Breccia, Alexandria, p. 72.

السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢١.

١٥- Breccia, Alexandria, p. 74.

١٦- عن دفن الإسكندر ارجع إلى لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات فى تاريخ مصر، عصر البطالمة، ص ١٢٠. وهناك رأى أخذ به بل عن دفنه فى واحة سيوة Bell, Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest , p. 32.

وقد تردد هذا الرأى من جديد بعد اكتشاف مقبرة مقدونية كبيرة فى واحة

سيوة، رجحت رئيسة البعثة الأثرية اليونانية التى اكتشفتها أنها للإسكندر أو مقبرة وهمية له. ولازال البحث جاريا لحسم هذه القضية، وإن كان أغلبية العلماء يرجحون دفنه بالإسكندرية.

١٧- لطفى عبد الوهاب، عصر البطالمة، ص ١٢٢ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٢.

١٨- لطفى عبد الوهاب، نفسه ص ١٢١ ، ١٢٢.

١٩- المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ، القاهرة، ١٩٥٨، تحقيق محى الدين عبد الحميد، جـ١ ، ص ٢٧٣.

٢٠- ابن حبير، رحلة ابن حبير، تحقيق وليم رايت، ليدن، ١٩٠٧، ص ٤١.

٢١- رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن يتخذ قائده عمرو بن العاص الإسكندرية عاصمة لمصر في العصر الإسلامى لعدة اعتبارات منها أن الإسكندرية مدينة ساحلية والعرب كانوا لا يزالوا بعد حديثى عهد بالدفاع عن السواحل الإسلامية بوسائل بحرية كاستخدام السفن الحربية فى محاربة أساطيل الروم، وحرصا منه على القرب من المصريين الذين أحسنوا استقبال العرب الفاتحين، فلو اتخذ العرب الإسكندرية عاصمة لهم وهى التى كان ينظر إليها أبناء مصر على أنها عاصمة احتلال أجنبى، لاعتبر المصريون العرب حلقة جديدة من حلقات الاحتلال الأجنبى، وكذلك لاعتبار إدارى حيث إن الإسكندرية بعيدة عن الصعيد، فى حين أن موقع مدينة الفسطاط التر أسسها عمرو بن العاص واتخذها حاضرة لمصر يتيح لها أن تكون فى قلب

مصر فهي أفضل إداريا من الإسكندرية المتطرفة (لمزيد من الأسباب عن عدول العرب من اتخاذ الإسكندرية عاصمة لمصر الإسلامية، ارجع إلى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٥٨ وما يليها).

٢٢- البيذق، أخبار المهدى بن تومرت، ص ١٣٢.

٢٣- عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص ٢٦٦.

٢٤- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٩.

٢٥- تتشابه كل من مدينتي القاهرة والمهدية مع رباط الفتح في ذلك.

٢٦- Terrase, L'Art, p. 288, 289.

٢٧- البيذق، أخبار المهدى، ص ١٣٢.

٢٨- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٦.

٢٩- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق تورنبرج، أوبسالة، ١٨٤٢، ص ١٢٥.

٣٠- راجع ما ذكره ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص ٤٤٦ – وما يليها.

٣١- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول، الإسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٤٠ – الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٩.

٣٢- الحلل الموشية، ص ١٥٧.

٣٣- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٣١.

٣٤- الفبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية تحقيق عادل نويهض، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٨.

٣٥- محمد بوجندار، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، تحقيق، د. عبد الكريم كريم، الرباط، ١٩٨٧، ص ٢٩٧.

٣٦- ابن عذارى، البيان المغرب، القسم الخاص بالموحدين، ص ١٦٥.

٣٧- المصدر السابق، ص ١٧٢.

٣٨- ابن الخطيب، رقم الحلل، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

٣٩- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ١٠١ وما يليها - السيد عبد العزيز سالم بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار بحث بعنوان «تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس» بيروت، ١٩٩٢، جـ٢ ص ٤١٩. ولمزيد من التفاصيل عن الأوصاف العديدة التى وصلتنا عن هذا المنار ارجع إلى (اليعقوبى ، كتاب البلدان، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية، ليدن، ١٨٩١، ص ٣٢٨ - ابن الفقيه الهمذانى، مختصر كتاب البلدان، الجزء الخامس من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٨٥، ص ٨٢ - المسعودى، مروج الذهب جـ١، ص ٣٧٥ - ابن حوقل، صورة الأرض ، تحقيق كرامرز، ليدن ١٩٣٧ - ياقوت، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٥ - جـ١، ص ٤١ - ابن جبير، رحلة ابن جبير، تحقيق وليم رايت، ليدن، ١٩٠٧، ص ٤١ - رحلة بنيامين التطيلي، مدريد، ١٩١٨، ص ١١٢ - الهروى الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، دمشق

١٩٥٢، ص ٤٨ – ٤٩ – الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ٩٦ – المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ١٩٥٩، جـ١ ص ١٥٥ – بتلر، فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، القاهرة ١٩٣٢، ص ٣٤٥.

٤٠- المسعودي، التنبيه والإشراف، بيروت، ١٩٦٥، ص ٤٧، المقريزي، الخطط ١، ص ٢٧٧ ـ ٢٩٤ج

٤١- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢١، السيد عبد العزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال الفنون والعمارة والزخرفة من أبحاث كتاب «بحوث في التاريخ والحضارة والآثار» جـ٢ ، ص ٤٣٣.

٤٢- المقريزي ، الخطط جـ١، ص ١٥٧ – السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢١.

٤٣- المسعودي، التنبيه والإشراف ، ص ٤٨.

٤٤- السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، طبعة مصر ١٣٢١هـ جـ١، ص ١٧٨ – السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٢.

٤٥- رحلة ابن بطوطة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٤٠.

٤٦- وهذا الموضوع يتعلق بمناقشة قضية لم تحسم بعد بين علماء الآثار، وهي قضية التشابه العام بين شكل المئذن الإسلامية وشكل المنار السكندري مما دفع العالم تيرش Thiersch إلى الادلاء بنظريته التي ارجع فيها أصل

نظام المئذنة إلى منار الإسكندرية، وقد تبعه فى ذلك العالم الإسبانى فيليث ارناندث خيمينث (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى :

Felix Hernandez Gimenez, el minar de Abd-Rahman III en la Mezquita Mayor De Cordoba, Genesis y Repercusiones., Granada , 1975, p. 46, 133.

وقد عرض لهذه الآراء الدكتور السيد عبد العزيز سالم في بحثه عن تأثير منار الإسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، ص ٤٢١، وما يليها ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ كريزويل اعترض على نظرية تيرش ورفض الأخذ بها وانتهى إلى القول بأن أصل نظام المآذن يتمثل فى الصوامع المسيحية التى كانت قائمة فى سوريا قبل الفتح الإسلامى Creswell, The evolution of the minaret, Burlington Magazine, Mars, Mai, Juin, 1926, p. 9.

وقد أيد لفيف من علماء الآثار العرب رأى كريسويل وعلى رأسهم الدكتور أحمد فكرى (المسجد الجامع بالقيروان، القاهرة، ١٩٣٦، ص ١١١، هامش٢) والدكتور السيد عبد العزيز سالم، المآذن المصرية، القاهرة، ١٩٥٩ ص ٨، والدكتور صالح بن قرية، المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى، ص ٦٩ حيث اعتبروا الأبراج السورية المصدر الذى استلهمت منه المئذنة الإسلامية بوجه عام نظامها المعمارى. أما الدكتور سعد زغلول عبد الحميد فقد ذهب إلى أن المنار كان له تأثير على بناء أبراج الكنائس فى مصر والشام، وأن هذه الأبراج أوحت إلى المسلمين بناء مآذن المساجد

(سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية منذ الفتح الإسلامي الى بداية العصر الفاطمي، من كتاب تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور الإسكندرية، ١٩٦٣، ص ٢٣٦). وعاد الدكتور عبد العزيز سالم إلى ترجيح تأثير منار الإسكندرية على بعض مآذن المغرب والأندلس، وسجل ذلك في دراسته القيمة بعنوان تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس.

٤٧- السيد عبد العزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية، ص ٤٢٣، وما يليها.

٤٨- المرجع السابق، ص ٤٢٥.

٤٩- Felix, Hernandez, op. cit.,p. 113 ويجعلها تيراس ١٦ متراً (Terrasse, L'Art Hispano, p. 321).

٥٠- Ibid, p. 172.

٥١- هنري رياض واخرون، دليل آثار الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٦٥، ص١٢ زكي علي، الإسكندرية، تنسيمها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطالمة، مقالة بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثاني ١٩٤٤، ص ١٦٠- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ص٢٠.

٥٢- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٢٥.

٥٣- المقريزي، الخطط، جـ١، ص ١٦٥.

٥٤- سيدة كاشف، مصر في عصر الولاة منذ الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٥٦.

٥٥- السيد عبد العزيز سالم، حول الكشف عن مدخل دار الصناعة الغربية بالإسكندرية بحث ألقي في ندوة عن Europe and Egypt Co-operation in Archeology Symposium, 7 - 8 December, 1994.

٥٦- الطرطوشي، سراج الملوك، القاهرة، ١٢٨٩هـ، ص ٩٧ - حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٢٨. محمد توفيق بليع، نشأة الرباط وتطوره وأهمية نظام المرابطة في تاريخ المسلمين من مطبوعات جمعية الاثار بالإسكندرية، ١٩٦٨ ص ٢٧، ٢٨.

٥٧- آية ١٩٩ من سورة آل عمران.

٥٨- Manuela Marin, El Ribat en Al-Andalusy el Norte De Africa,

وهو أحد الأبحاث التي ألقيت في ندوة.

La Ràpita Islamic : Historia Institucional i altres Estudis Regionals, 1 Congrés de la Rapitas de l'Estat Espanyol, 7 -10 Setembre 1989, Sant Carles de la Rapita, Tarragona, Catalunya, Espanya,1989, p. 122.

٥٩- حسن محمود، قيام دولة المرابطين ، ص ١٢٨ - السيد عبد العزيز سالم تاريخ الإسكندرية، ص ٩١ - Manuela Marin, op. cit., p. 127. ويذكر الإسكندرية، ميكل دى ابالثا «أن المسلمين الذين رسخت في نفوسهم

الأهمية التى يوليها الإسلام للجهاد وما ينجم عنه من وعود بالجزاء بوصفه مسعى جماعيا للخلاص، كما تؤكد ذلك آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية، يشعرون بنوع من الإحباط بسبب عدم استطاعتهم إتمام جميع ما يسعون إلى تحقيقه من الواجبات الإسلامية عن طريق الجهاد، لذا مارس المسلمون المرابطة باعتبارها نشاطا معوضا لعدم إمكانية قيامهم بالجهاد....».

(ميكل دى أبالثا، الرباط والرابطات فى الأسماء والآثار الإسبانية، تعريب الحسين اليعقوبى، مجلة دراسات أندلسية، عدد ١٣، شعبان ١٤١٥/ يناير ١٩٩٥، ص ٧٩).

٦٠- آية ٦٠ من سورة الأنفال، كما أورد الدكتور محمد توفيق بلبع بعض الأحاديث النبوية عن رسول الله (ﷺ) تشيد بأهمية الخيل وفضائل الجهاد والمرابطة (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى محمد توفيق بلبع، المرجع السابق، ص ٢٩).

٦١- محمد توفيق بلبع، نفسه، ٢٧، ٢٨، ٢٩ - محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها فى عصرى المرابطين والموحدين، ص ٣٦.

٦٢- عرفت الاربطة فى مصر الإسلامية باسم «المواجيز» وقد انتشرت على طول الساحل من العريش حتى الحدود الليبية وقد أشار الكندى فى كتاب الولاه والقضاة ص ٤١٨، ٤١٩ إلى هذه المواجيز (بلبع، ص ٣٤).

٦٣- ابن الصباغ، فضائل الإسكندرية، نسخة مصورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، محفوظة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية رقم

٧٧٩م، ص ٤ ب ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، طبعة بولاق، ١٣٠٩هـ جـ ٥ ص ١١٦.

٦٤- ابن الصباغ، نفس المصدر، ص ٤ ب، ٥ أ. ولمزيد من هذه الأحاديث، ارجع إلى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٣ وما يليها.

٦٥- حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص ١٢٩.

ويتفق كل من الدكتور محمد توفيق بلبع والدكتور محمد الأمين بلغيث مع الدكتور حسن محمود في أن فجر الربط والمرابطة في بلاد المغرب هي قصور طرابلس والقيروان التي كانت نقطة ارتكاز سارت منها الفتوحات الإسلامية (محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط، ص ٤٤ - بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ص ٩٩).

٦٦- حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص ١٢٩ وما يليها.

٦٧- Ferhat Dachraoui, le Rôle des Ribats dans le Gihad Maritime en Ifriqya au Moyen âge, p. 179.

من ابحاث ندوة Sant Carles De la Rapita, 1989.

ويتفق الدكتور السيد عبد العزيز سالم مع الدكتور الدشراوي في أن أول رباط أغلبي هو رباط سوسة (سالم، المغرب الكبير، بيروت، ١٩٨١، ٤٤٩) ولمزيد من التفاصيل عن رباطي سوسة والمنستير وتخطيطهما الداخلي ارجع إلى (بلبع نشأة الرباط - ص ٤٤ - ٥١ - والدكتور السيد عبد العزيز سالم المرجع السابق، ص ٤٤٩ وما يليها).

٦٨- Jaine Oliver Asin, Drigen Arabe De Rebato Arrobda ysus Homonimes, Madrid, 1928, p. 19 - Manuela Marin , Op.cit., p. 122. Manuela Marin, Ibid., p. 122.

٦٩- وقد ركزت مانويلا مارين فى بحثها على الأربطة فى تونس وعلى الأخص رباطى سوسة والمنستير، وإن كانت أشارت فى بعض مواضع من بحثها عن الرباط فى الأندلس ولم تشر إلى الأربطة فى المغرب الأقصى.

٧٠- Manuela, Marin, op.cit., p. 122- 123.

٧١- Jaine Oliver Asin, Drigen, Arabe, p. 17.

٧٢- راجع البحث القيم للدكتور جمعة شيخة عن الرباط فى كتب الطبقات

Jenae Cheikha les Ribâts d'après le livres de Tabaqât sant carles de la Rapid, 1984 - 1993.

أحد أبحاث مؤتمر الرباط الإسلامى من ٧ - ١٠ سبتمبر ١٩٨٩ - بطلونية - اسبانيا.

* سحر عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة فراطقة المغرب الإسلامى الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٨٠ وما يليها - وكان المغرب الأقصى قبل ظهور المرابطين تتقاسمه أربعة قوى هى غمارة فى الشمال وقبائل برغواطة فى المغرب وزناتة تكون نطاقا حول هذه القبائل بعد سقوط الأدارسة، ثم طوائف الشيعة الرافضة والوثنيين فى الجنوب بتارودانت عاصمة السوس الأقصى (محمد الأمين بلغيث ، الربط بالمغرب الاسلامى، ص ١٤٣).

٧٣- هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي، عرف بابن الزيات ويعتبر كتابه التشوف من أهم الكتب التي تدرس الحياة الدينية والتصوف في عهد المرابطين والموحدين (انظر التادلي الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، نشر وتصحيح ادولف فور، مطبوعات أفريقيا الشمالية الرباط، ١٩٥٨، ص ١).

٧٤- السيوطي، جـ١، ص ٢١٥ - محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط، ص ٤٢.

٧٥- محمد الأمين بلغيث ، الربط ، ص ٢٢٦.

٧٦- المرجع السابق، ص ٢٢٧.

٧٧- نفسه، ص ٢٢٨.

٧٨- نفسه، ص ٢٢٩.

٧٩- يقول خايمي أوليفر آسين إن هذه الأربطة أو الحصون كانت تتكون عادة من فناء مركزي مع غرف للخلوة والتعبد محيطة بها، ومسجد أو بيت للصلاة وإقامة الخطب والمواعظ الدينية وبرج مرتفع أو منار للاتصال مع المناطق البعيدة ولإرسال إشارات إلى المراكز المماثلة على طول الساحل، كما يذكر أنها من الممكن أن تتخذ كدور لصناعة السفن وإعدادها للقتال البحري مثلما كان الحال في رباط سوسة. ويرجح خايمي أوليفر راسين أن المسلمين استخدموا في كثير من الأحيان القرى أو المباني البيزنطية السابقة كأربطة (وارجع كذلك إلى محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط، ص ٣٠). وكان إنشاء الأربطة يعتبر من أعمال البر. وقد شارك الخلفاء والناس من مختلف الطبقات في اعمال ترميم وصيانة الأربطة، وكانت الأربطة تتلقى المعونات

السخية من كل طبقات وفئات المسلمين، ووجدت في كثير من الأحيان ببعض الاربطة شواهد وأضرحة لشخصيات إسلامية هامة فتحولت حينذاك إلى زوايا حيث يعيش هؤلاء المرابطون حول قبر أحد الأبطال المسلمين أو الصحافة وفي بعض هذه الزوايا كانت توجد قاعة تستخدم كمسجد، وقاعة ثانية لتدريس العلوم الدينية، وثالثة تتخذ كمدرسة أولية، ورابعة ليجلس فيها الطلاب لحفظ وإتقان دروسهم كما كانت توجد غرفة لاستقبال المسافرين الذين لا عائل لهم، كما كانت توجد مقبرة للأشخاص المتدينين وخان أو فندق يقيم فيه النزيل بالمجان.

Jaine Oliver Asin, Origen Arabe De Rebato,p.16-18.

وكان الدكتور محمد توفيق بلبع قد ذكر أنه لم تصل إلينا صورة واضحة لما كان عليه شكل الرباط وتخطيطه بالمشرق بعكس ما هو عليه الحال بالنسبة لأربطة المغرب، ولكنه استخلص من روايات المؤرخين عن وظيفة الأربطة ومعيشة أهلها أن الرباط أقيم غالبا على مساحة مربعة او مستطيلة الشكل، وكانت تتكون من صحن مركزي يحيط به من جوانبه الأربعة حجرات صغيرة منفصلة في طابق أو أكثر، كما كان يحتوي على بيت للصلاة أو مسجد صغير ومنارة مرتفعة كما كانت أسواره الخارجية سميكة وعالية، وكان يشتمل على طاحون وخزان للمياه ومخازن للسلاح والمؤن لاستخدامها في مقاومة الحصار (المرجع السابق ص ٣٠) كما اهتم الدكتور بلبع بتأكيد دور المنارات في الأربطة الاسلامية كأبراج للمراقبة وإرسال إشارات التحذير حتى انتشر بناؤها وحدها في كثير من الأحيان دون بقية أجزاء الرباط في مناطق عديدة من الدولة الإسلامية وقد اقتبس المسلمون هذه المنارات من

أهل الهند واطلقوا عليها اسم «المنار» التي قامت بنفس دور المنارات فكان يخصص لها الحراس لمراقبة الأعداء وتحركاتهم بالنهار والليل لذلك عرفوا بالسمار (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى بليغ، المرجع السابق، ص ٣٢ وما يليها).

٨٠- كان رباط البغدادية من أكثر أربطة القاهرة شهرة، أمرت ببنائه الأميرة تذكار باى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥م). وكان مخصصا لإقامة السيدات المطلقات أو اللاتى هجرهن أزواجهن، وكن يخضعن فيه لنظام صارم ودقيق تحت إشراف العالمة الفقيهة زينب بنت أبى البركات المعروفة بالبغدادية التى (نسب الرباط إليها) فكانت تلقى عليهن الدروس الدينية وتعرفهن بمبادئ وأصول الدين الإسلامى (لمزيد من التفاصيل عن هذا الرباط والخانقاوات والأربطة المخصصة لكبار السن ارجع إلى محمد توفيق بليغ، نشأة الأربطة، ص ٦٤).

٨١- محمد الأمين بلغيث الربط، ص ٢٥٠ ، ٢٥١.

٨٢- المرجع السابق، ص ٢٥٢.

٨٣- اهتم ميكل دى ابالثا بدراسة الرباط كمؤسسة إسلامية فى الأندلس على وجه الخصوص على أساس أن المرابطة نشاط مكمل للجهاد، وقام بدراسة المسميات الإسبانية المختلفة المشتقة من كلمة الرباط العربية مثل -Ràpita Rapido - Rabita، كما قام بدراسة الهيئات والمؤسسات التي تشابهت فى وظائفها مع الرباط مثل المنستير وجمعها المنستيرات- Almosteres Almonachiles - Almonastires - Almonacides فى اللغتين

الإسبانية والبرتغالية، ويذكر أن أصل هذه الكلمة يونانى استعمل فى البداية للدلالة على المواقع التى يرابط فيها المسلمون باستمرار فى مجموعات يكثر عددها أو يقل، والزاوية فى الإسبانية القديمة Zaguias، وتدل فى رأيه على مصلى صغير للخلوة الروحية، والجامعة Algimia او Aljama فى الاسبانية القديمة وهى مسجد يجتمع فيه الناس للصلاة. وقد فرق دي ابالثا فى دراسته هذه بين الجيوش النظامية للدولة الإسلامية فى العصور الوسطى ولاسيما منذ عصر المرابطين (٦هـ/ ١٢م) وبين حشود الزهاد المسلمين المصاحبين لهم، فالجنود يمضون إلى ساحة المعركة للقتال، والزهاد يذهبون للاستشهاد ، ولعل هذا يفسر من وجهة نظره الهزائم العسكرية التى تعرض لها الجيش الاسلامى فى مواقعة مسيحى الاندلس مثل موقعة كتندة Cutanda (٥١٤هـ/ ١١٢٠م).التى أدت إلى ضياع وادى نهر أبرة، فقد أفسدت جماهير الصلحاء المسلمين الذين انضموا إلى صلب الجيش النظامى برغبتهم فى الاستشهاد، الخطة الدفاعية وكذلك الهجومية فى صفوف الجيش الإسلامى (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى ميكل دى أبالثا الرباط والرابطات فى الأسماء والآثار الإسبانية، مجلة دراسات أندلسية العدد ١٣، يناير ١٩٩٥، ص ٦٩ – ٨٦). أما خايمى أوليفر أسين فقد اهتم بدوره بدراسة الأصل العربى للرباط وما اشتق من هذا الاسم من مسميات أخرى، وركز أيضا فى دراسته تلك على الأربطة فى الأندلس مشيرا إلى أن مصطلح الرباط وجد بكثرة فى لغة شبه جزيرة إيبيريا ففى البرتغال توجد كلمة rebato فى القطلانية rebat وباللغة الإسبانية arrebata و arre-bato, rebata,rebato وبلهجة أهل بلنسية arrebat (لمزيد من

التفاصيل ارجع إلى {Jaine Oliver Asin, Origin arabe de Rebato, p. 6}

٨٤- حسن عبد الوهاب، الإسكندرية في العصر الإسلامي، مجلة الكتاب، يناير ١٩٤٧، ص ٣٧٩ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٢.

٨٥- ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن هذا المخطوط كان محفوظا بمكتبة آيا صوفيا ولكنه فقد (تاريخ الإسكندرية، ص ٩٢).

٨٦- سالم، المرجع السابق، ص ٩٣ وهذا المخطوط صورة شمسية محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالإسكندرية تحت رقم ٧٧٩ م مصورة من النسخة المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٨٧- السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، طبعة مصر ١٣٢١، جـ ١، ص ٩٧.

٨٨- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق الدكتور زكي محمد حسن والدكتور شوقي ضيف والدكتورة سيدة كاشف، القاهرة، ١٩٥٣، جـ١، ص ٥٥ . السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٥.

٨٩- السيوطي، حسن المحاضرة، جـ١، ص ٩٨.

٩٠- الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت، ١٩٠٨، تحقيق الأستاذ رفن حبست، ص ٢٦ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١، ص ١٠٤.

٩١- السيوطي، المصدر السابق، جـ١، ص ١١٨، ص ١٢١.

٩٢- السيوطي المصدر السابق، جـ١، ص ١٢٤، ١٢٥ . سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٥، ٩٦.

٩٣- ابن رسته، كتاب الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٨١، ص ١١٨.

٩٤- ابن بطوطة، الرحلة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٠ . سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٦ . بلبع، نشأة الرباط، ص ٣٤ - ٣٥.

٩٥- ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١١٨ . بلبع، نشأة الرباط ، ص ٢٦.

٩٦- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية، ص ٤٨١.

٩٧- سحر عبد العزيز سالم، شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي (التاريخ السياسي والحضاري)، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ٢٢٦، وما يليها.

٩٨- عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٤٨٢.

٩٩- المرجع السابق، ص ٤٨٣.

١٠٠- احمد مختار العبادى في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٨٣ . محمد زنيبر كيف نشأت التقاليد العلمية بسبتة، دور السبتيين في عهد الفتوح الأول، مجلة البحث العلمي، العدد ٣، السنة الأولى، المغرب، ١٩٦٤، ص ١١٩ . محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الاسلامي، ص ١٤٣.

١٠١- محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط وتطوره وأهمية نظام المرابطة في تاريخ المسلمين، من مطبوعات الجمعية الأثرية بالإسكندرية، ص ٥٣).

١٠٢- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Marçais, Note sur les Ribats en Berberie (Melanges René Basset) edition Ernest leroux, Paris, 1925, p.8)

(محمد الأمين بلغيث، الربط، ص ١٤٤).

١٠٣- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط، ص٥٤، ٥٥

١٠٤- هاجرت في القرن ١٧م جماعات مختلفة من الموريسكيين إلى رباط الفتح من بلنسية وقشتالة واستراماندورة ولاسيما من المدينة التي تقع جنوبي شرقي ماردة ومن أرجون ومن قطلونيا ومن مرسية، وقد استقر مهاجرو Homacho بقصبة الاوداية. وانضموا إلى الجاليات الاندلسية التي هاجرت إليها من قبل. وبمرور الوقت اشتدت شوكة هؤلاء المهاجرين الأندلسيين ولم تعد السلطة المركزية قادرة على إخضاعهم وكونوا ما عرف في تاريخ المغرب بجمهوريات أبي رقراق، وبدأ هؤلاء المهاجرون في مهاجمة الإسبان والبرتغاليين من رباط الفتح وسلا وتعدوهم إلى غيرهم من فرنسيين وإنجليز وهولنديين، وكانت أوروبا تلقبهم بالقراصنة ولصوص البحر. وكان الرواد في هذا الجهاد البحري هم الجماعة أندلسية الأصل المعروفة بالجرانشين وهي كلمة محرفة من كلمة هرناشو نسبة إلى مدينة Homacho الإسبانية . وكان الأندلسيون قبيل مجئ الحرناشيين يخضعون لسلطة القائد الذي تعينه الدولة ولكنهم بتحريض الحرناشيين خلعوا طاعته وتولوا الحكم بأنفسهم واختاروا عاملا من بينهم وكونوا مجلسا للحكم يعرف بالديوان نصف أعضائه من الرباط والنصف الآخر من سلا

وهكذا تشكلت جمهورية بحوض أبي رقراق ابتداء من سنة ١٠٢٢هـ/ ١٦١٤م (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى بوجندار مقدمة الفتح ص ٥٤ وما يليها. عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح الرباط، ١٩٧٩، ص ١٠٤ وما يليها.

١٠٥- لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر، عصر البطالة، ص ٣١٨ وما يليها.

١٠٦- راشد البراوي حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨ ص ٢٥٥ وما يليها - سحر عبد العزيز سالم، تجارة عمان في الكارم وصداها على سياسة مصر حتى طليعة القرن السابع الهجري، مسقط، ١٩٩١، ص٢.

١٠٧- Heyd, Histoire du Commerce du Levant au moyen Age, t. I, Leipsig, 1923, p. 384.

١٠٨- المقريزي ، المخطط، جـ١، ص ٣٠٦.

١٠٩- حدد بنيامين التطيلي أسماء دول كانت تتعامل مع الإسكندرية تجاريا وكان لكل منها فندق بالإسكندرية منها البندقية وطباردية وتسكانة وامالفي وصقلية وقلونة وروسانية وكازارية وهنغارية وبلغارية ورلكوفية وكرواتية وروسيا والمانيا سكسونية وايسلندا والنرويج. (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Viajes, De Benjamin De Tudela , Madrid, 1918, p. 115.

وكانت للبندقية بالإسكندرية جالية كبيرة يدير شئونها قنصل . وكان فى الحي البندقى فندقان وحمام ومخبز وكنيسة (شارل ديل، البندقية جمهورية ارسقراطية، ترجمة د. أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، ١٩٤٨ ص ٥٩) ولمزيد من التفاصيل عن مكانة الإسكندرية التجارية فى العصر الإسلامى ارجع إلى (السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية ص ٢٥٧ وما يليها، ص ٥١٥ وما يليها).

١١٠- ارجع إلى عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٥٧ وما يليها.

١١١- Kruger, The Wars of Exchange in Speculum 12, 1973, p. 57 - Goitein, A Mediterranean Society, Vol I, Berkelley, 1967, p. 61,212,215-Goitein, Studies in Islamic History and Institutions, Leiden1966, p. 297.

١١٢- سحر عبد العزيز سالم، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها من أعمال المؤتمر العالمى الخامس للدراسات الموريسكية، زغوان، ١٩٩٣، جـ٢، ص ٨٤.

١١٣- ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، طبعة القاهرة، جـ٤، ص ٣٣ ترجمة ٣٦١٨.

١١٤- المصدر السابق، جـ٣، ص ٨٠ ترجمة ٢٦٥١.

١١٥- السخاوى، الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع،مجلد٤، جـ٨، ص ٢٨٩.

١١٦ - بوجندار ، مقدمة الفتح ، ص ٧٧.